

١ - الغانب ..

انتفض جسد (قدرى) بغتة ، وهو يجلس داخل الطائرة المصرية ، المتجهة إلى (نيويورك) ، وندت منه شهقة مكتومة ، جعلت (منى توفيق) تلتفت إليه في حركة حادة ، قائلة :

_ ماذا هناك ؟!

حدِّق (قدرى) في وجهها لحظة في دهشة ، قبل أن يفرك عينيه ، ويعتدل في مقعده ، مغمغمًا :

ـ يبدو أننى قد استغرقت فى النوم ، وراودنى ذلك الكابوس .

سألته في اهتمام :

_ أي كابوس ؟!

تنهد في قوة ، وجفف قطرات قليلة من العرق ، تنزلق على جبهته ، وهو يجيب :

_ إنه أمر يتعلق بـ (أدهم) .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا في شيء من العصبية :

(أدهم صبری) .. ضابط مخابرات مصری ، يرمز اليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنی أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنی أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبری) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلی قادفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتی التایکوندو .. هذا بالإضافة إلی إجادته التامة لست لغات حیّة ، وبراعته الفائقة فی استخدام أدوات التنگر و (المكیاج) ، وقیادة السیارات والطائرات ، التواصات ، إلی جانب مهارات أخری متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة نلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. تبيك فاروق

- ولكننى لا أذكر شينًا حول تفاصيله . تطلعت إليه لحظة في صمت ، ثم لم تلبث أن ربتت على كتفه ، قائلة :

- لا بأس يا (قدرى) .. هذا أمر طبيعى ، فكلانا يشعر بالقلق تجاه (أدهم) ، ونحن في طريقتا للحاق به ، في (أمريكا الجنوبية) ، و ...

قاطعها ، مكملاً في عصبية :

- ودون علم الإدارة أو موافقتها .

اتعقد حاجباها في شدة ، وهي تقول :

- أنت تعلم أنه لم يكن لدينا بديل .. لو أننا عرضنا الأمر عليهم ، لرفضوا سفرنا إلى هناك بشدة ، بل وربما أدرجوا اسمينا في قائمة الممنوعين من السفر ، لمنعنا من ارتكاب مثل هذه الحماقة .

تنهد في توتر ، مغمغما :

- أتت على حق .. ما نرتكبه يعد حماقة كبرى .. اثنا نسافر إلى (ريو دى جاتيرو) ، بحثًا عن (أدهم) ، دون أن نمتلك أية معلومات عن مكاته ، أو عن تقاصيل المهمة ، التي يقاتل من أجلها .. بل ولاندرى حتى ما إذا كان على قيد الحياة ، أم ...

ارتجفت شفتاه مع العبارة الأخيرة ، فعجز عن استكمالها ، مما جعل قلبها يخفق في صدرها بعنف ، وهي تعقد حاجبيها أكثر ، مكررة :

ـ لم يكن لدينا بديل ..

قالتها ، وهى تدرك جيدًا أن (قدرى) على حق .. إنهما يجهلان الكثير عما يفعله (أدهم) فى (ريو دى جانيرو) ..

كل ما يعلمانه ، هو أنه قد انتهى من مهمة عنيفة في (طوكيو) (*) ، ثم انطلق مباشرة إلى (البرازيل) ، مع زميلته الجديدة (جيهان) ، لمواجهة أمر ما ، يتعلق بتلك الأفعى المخيفة ، في عالم الجاسوسية الخاصة ، والمعروفة باسم (السنيورا) (**)

ولكن ما تجهله كان خطيرًا ..

وعنيفا ...

للغاية ..

لقد بدأ الأمر بسلسلة من حوادث الاختطاف ، لعدد من علماء الذرة ، في عدة دول مختلفة ..

^(*) راجع قصة (اغتيال) .. المعامرة رقم (١١٠) . (**) راجع قصة (الأقعى) .. المعامرة رقم (١٠١) .

المهاجر الروسى إلى (إسرائيل)، البروفيسير (ميخائيل استروتيسكى)، خبير الطاقة الذرية ..

وعالم الفيزياء النووية الفرنسى ، (جيسكار دى مال) ..

وخيير المفاعلات النووية الأمريكي (دوران جولهي) ..

وفي كل مرة ، كان حادث الاختطاف يحمل توقيع السنبورا ..

تلك الأفعى الغامضة الرهيبة ، التي ترأس واحدة من أقوى وأخطر منظمات الجاسوسية الخاصة في العالم ، بعد انهيار منظمة (سكوربيون) ، على يد (أدهم صبرى)(*).

ويسرعة ، درس رجال المخابرات المصرية الأمر ، وأدركوا أن السنيورا تسعى لإنتاج القنابل الذرية ، في واحدة من أقوى عملياتها ، وأكثرها خطورة ..

وأن اكتمال مشروعها النووى هذا ، ما زال يحتاج الى عالم رابع ..

إلى خبير في الهندسة النووية ..

وفى هذا المجال ، لم يكن أمامها سوى رجلين ، لا ثالث لهما ..

الدكتور (محمد العفيفي) ، الأستاذ بقسم الهندسة النووية ، في جامعة (الإسكندرية) ..

والبروفيسير الألماتي (مارك ماتهايم) ..

وأسرعت المخابرات المصرية تحمى الدكتور (محمد العقيفى)، وتستعين به لمواجهة الجانب العلمى من المهمة، كما أبرقت إلى (أدهم صبرى)، فور انتهاء مهمته فى (طوكيو)؛ ليهرع على الفور إلى (ريو دى جانيرو)، حيث يقضى البروفيسير (مانهايم) إجازته...

ولم يضع (أدهم) و (جيهان) لحظة واحدة .. لقد انطلقا على الفور إلى (ريو) ، في محاولة لإنقاذ البروفيسير (مانهايم) ..

ولكنهما وصلا بعد الأوان ..

للأسف ..

ولكنهما لم يتوقفا ثانية واحدة ، للبكاء على اللبن المسكوب ، وإنما انطلقا على الفور ، خلف رجال السنيورا ، الذين اختطفوا خبير الهندسة النووية ..

^(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (١٨٤) .

وكالمعتاد ، اشتعلت النيران في أرض المعركة .. لم يكن (أدهم) قد شفى بعد من إصاباته ، في

العملية السابقة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، كان متألَّقًا كالمعتاد ، فقاتل كالليث ، واستخدم كل براعته

ومهارته وخبرته ، حتى نجح مع (جيهان) في استعادة

البروفيسير (ماتهايم) ، من بين قبضات الجميع ..

رجال الشرطة ، بقيادة المفتش (باندرياس) ..

ورجال السنيورا في (ريو دي جانيرو) ..

وأخيرًا تلك الفرقة ، التي أرسلتها السنيورا على وجه السرعة إلى (ريو) بقيادة واحد من أخطر رجال المخابرات السوفيتية السابقين ..

الماجور (يورى أندروفيتشى) ..

وبوصول (أندروفيتشى) إلى (ريو دى جانيرو)، اتخذ القتال مسارًا جديدًا.

ورهبيا ..

وكمحاولة للفرار من خصومة ، والخروج بالبروفيسير (مانهايم) من المدينة ، قرر (أدهم) عبور (كوهيدور بيليجرو) ، أكثر الممرات الجبلية وعورة وخطورة ، في (أمريكا) الجنوبية كلها ،

ليعبروا بعده منطقة الأدغال ، التى تقود إلى المدخل الخلفى للعاصمة (برازيليا)..

ولكن الطبيعة لم تكن تتحرك لصالحه هذه المرة ..

لقد هبّت على البلاد أعنف عاصفة ، شهدتها القارة كلها ، منذ قرن مضى ..

وكان على (أدهم) و (جيهان) والبروفيسير (ماتهايم) أن يواجهوا أبشع وسيلة للموت، في قلب ممر الجحيم ..

وكانت العاصفة عاتية ..

رهيبة ..

مخيفة ..

وكاتت النجاة منها ، فى (كوهيدور بيليجرو) ، أشبه بخروج قطعة من الثلج ، من قلب الجحيم ، دون أن تتحول إلى بخار ..

ولكن المعجزة تحققت ..

وعلى الرغم من الرياح الرهيبة ، والرمال القادرة على اختراق الأجساد البشرية ، والانهيارات الصخرية العنيفة ، خرج الثلاثة من الجحيم أحياء ..

ولكن إلى حين ..

ففور انتهاء العاصفة ، انقض عليهم (أندروفيتشى) ورجال السنيورا ..

وكانت مواجهة أشد عنفًا من العاصفة العاتية .. مواجهة بين الأشرار والأخيار ..

وبينما تشتعل النيران في (كوهيدور بيليجرو) ، كانت السنيورا تستقبل بديلاً للبروفيسير (مانهايم) ..

خبير الهندسة النووية البولندى (ديوك بولانسكى) ، الذى تصور الجميع أنه قد لقى مصرعه منذ عدة سنوات ، في قلب (روسيا) ..

فبعد موافقته على العمل لحساب السنيورا ، أبلغها (استروتيسكى) أن البروفيسير (بولانسكى) لم يلق مصرعه ، وإتما يعتقلونه في (سيبيريا) ، بتهمة معارضة السياسات الجديدة ، بعد انهيار (الاتحاد السوفيتي) القديم ..

ولم تضع السنيورا لحظة واحدة ..

لقد استعانت بالجنرال (ميلوسكى) ، أحد أقوى عملانها في (روسيا) ، لإخراج (بولاسكى) من معتقل (سيبيريا) ، وإرساله إليها بأقصى سرعة .. وعندما وصل (بولاسكى) إلى مقرها الخفى ، في

قلب جبال (فیلامونتز) فی (بولیفیا) ، لم تعد بها أدنی حاجة إلى (ماتهایم) ..

لذا فقد أبلغت رجلها (أندروفيتشى) بالقضاء عليه ... ولم يتردد الرجل لحظة واحدة ..

والمؤلم أن الأمر لم يقتصر على (مارك ماتهايم) وحده، وإنما امتد أيضًا إلى ضحية جديدة ..

.. (جيهان) ···

وعندما قاتل (أدهم) بكل قوته ، فى قلب ممر الجحيم ، كان يحاول إنقاذ حياته ، وحياة زميلته ، التى أصابتها رصاصة الروسى فى صدرها مباشرة ..

وفر (أدهم) من خصومه ، داخل كهف جبلى محدود ، ولكن (أتدروفيتشى) نسف مدخل الكهف ، ليضمن القضاء على خصمه إلى الأبد ..

وفي الكهف المظلم ، وبينما (جيهان) تلفظ أتفاسها الأخيرة ، التقى (أدهم) بر (بترو) ..

زنجى ضخم الجثة ، مفرط القوة ، شديد الجبن والخوف ، تآزر معه للصعود عبر ممر شبه رأسى ، وسط الظلام الدامس ، إلى مقبرة ...

نعم .. مقبرة مخيفة من مقابر الوطنيين ، سكان الأدغال البرازيلية الأصليين ..

وكاد (بترو) يلقى مصرعه فى تلك المقبرة ، لولا أن أتقذ (أدهم) حياته ، مما دفعه إلى استغلال قوته المفرطة ، لشق طريقهم إلى خارجها ..

وأخيرًا ، رأت عيونهما شمس الصباح ، وحمل (أدهم) زميلته (جيهان) ، التي صار الموت أقرب اليها من حيل الوريد ، خارج مقبرة الوطنيين ، و ... وكانت في انتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة كادت تقتل (بترو)، من شدة الرعب والفزع .. فخارج المقبرة ، وحولهم تمامًا ، وفي الوقت الذي نفدت فيه كل قوتهما ، كان يقف عشرة من المقاتلين البدانيين ، عراة الصدور ، اصطبغت وجوههم بطلاء الحرب ، وأطلت من عيونهم ، نظرة صارمة ، قاسية ، مخيفة ، تبدو أكثر حدة من تلك الرماح القوية ، التي يصوبونها إلى الرجلين ..

نظرة تشف عن أنهم لا يحملون للدخلاء والغرباء سوى مصير واحد محتوم ..

الموت ..

وبلا رحمة (*) ..

* * *

(*) لعزيد من التفاصيل راجع قصة (رياح الخطر) .. المغامرة رقم (١١٣) .

« إذن فقد نجحت فى قتل أسطورة المخابرات هذا .. »

نطق (الماس) العبارة في سخرية ، وهو يرتشف رشفة من زجاجة ويسكى صغيرة ، ثم أعادها إلى جيب سترته الداخلي ، مستطردًا :

_ عجبًا ! كنت أتصور أنه أكثر مناعة من هذا . بذل (أندروفيتشي) جهدًا حقيقيًّا ، للسيطرة على أعصابه هذه المرة ، وهو يقول في صرامة :

_ لكل شيء نهاية .

رمقه (لاماس) بنظرة صامتة ، تحمل مقت الدنيا وغضبها ، قبل أن يغمغم :

_ بالتأكيد .. لكل شيء نهاية .

ثم أردف بلهجة مستفزة :

_ ولكل شخص أيضًا .

التفت إليه الروسى في صرامة ، فتابع في عصبية : _ وهذا ما كنت ستلقاه ، لولا وصولى في الوقت

المناسب .

قال (أندروفيتشى) فى يرود:
- ألم تمل بعد ترديد هذه العبارة ؟!

أجابه (لاماس) في خشونة :

- فلتقل : إننى أعشق التكرار .

مط (أندروفيتشى) شفتيه ، وعاد يتطلع عبر النافذة ، قائلاً :

- سخفاء هم من يكررون أنفسهم .

أطلق (لاماس) ضحكة عصبية قصيرة ، وقال : _ من قال هذا ؟! كل شيء في العالم يتكرر بنجاح ، منذ عشرات ، أو ربما مئات السنين .. راقب ما يحدث هنا ، وستدرك أتنى على حق ، فعلى الرغم من العاصفة العاتية ، التي حطمت نصف الحي القديم بالمدينة ، وتسببت في بقائنا هنا ، بعد أن تحطمت الطائرة ، التي كان من المفترض أن نعود بها إلى الوطن ، وأغلقت كل المطارات العامـة والخاصـة ، ستجد أن الجميع منهمكين في الإعداد للمهرجان السنوى ، وكأنما لا يقلق بالهم سواه .. وما أدراك ما المهرجانات في (ريو دي جانيرو) .. إنها أعظم احتفالات شعبية في العالم أجمع ، وما من برازيلي بمكنه مقاومتها، أو التنازل عن إقامتها في موعدها، مهما كانت الأسباب .. أليست هذه نمطية مثالية ،

وتكرارًا لم يدع قط للملل ، منذ عشرات السنين ؟!

تطلع (أندروفيتشى) لحظة إلى الشارع ، الذى بدأ
البعض في تزيينه بالفعل ، على الرغم من آثار الدمار ،
التي لم يتم رفعها بعد ، ثم غمغم في ازدراء :

ـ يا للسخافة !

ثم التقط هاتفه المحمول من جيبه ، وهو يتابع في زم:

- ولكننا سنجد حتمًا وسيلة للعودة .. ربما ترسل الينا السنيورا هليوكوبتر كبيرة ، أو ..

لم يتم عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لهذا ، وهو يطلب الرقم الخاص بالسنيورا في (فيلامومنتز) ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى قال في هدوء :

- صباح الخير يا سنيورا .. أردت أن أخبرك أن المهمة قد انتهت بنجاح .

سرت في جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، عندما سمعت عبارته ، وانتفض قلبها بين ضلوعها في عنف ، وانقبضت أصابعها على سمّاعة الهاتف ، حتى كادت تعتصرها ، وهي تقول بصوت مبحوح ، يموج بالانفعال : - نسفته هو ، أم نسفت مدخل الكهف فحسب يا (يورى) ؟!

اتعقد حاجباه في شدَّة ، وهو يقول :

- وما الفارق يا سنيورا .

صرخت:

- ما الفارق ؟! أتسألنى ما الفارق يا رجل المخابرات السابق ؟! ألم تعلمك سنوات العمل الطويلة شيئا عن (أدهم صبرى) ؟! ألم يخبرك ملفه كم مرة تصور فيها الجميع أنه قد لقى مصرعه ، ثم فوجئوا بقبضته تسحق أنوفهم ؟!

قال في ضيق :

- الكهوف الجبلية لها مدخل واحد فى المعتاد ، و . . قاطعته مرة أخرى فى غضب هادر :

- فى المعتاد ، وليس بالضرورة أيها العبقرى .. واتعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف وكأن النيران تنبعث من بين شفتيها :

- اسمعنی جیدًا یا (یوری أندروفیتشی) .. لست اهتم قط بثقتك فی أنك قد نجمت فی قتل (أدهم صبری) ، وتحقیق ما عجزت عنه أجهزة المخابرات

_ هل .. هل نجحت في القضاء على (أدهم) ؟! أجابها بنفس الهدوء الواثق:

_ وماذا كنت تتوقعين ؟!

الجم الانفعال لساتها لثوان ، قبل أن تسأله في لهفة :

ـ كيف ؟!

أجابها في صوت هادئ ، لم يخل من رنة زهو وثقة :

_ لقد نسفته نسفًا .

اتسعت عيناها في لهفة ، وهي تهتف :

_ نسفته ۱۶

أجاب في سرعة :

- نعم یا سنیورا .. نسفته .. أطلقنا علیه النار ، فأسرع یختفی داخل که ف جبلی ، فنسفنا مدخل الکهف ، و ..

قاطعته صيحتها الهادرة:

_ نسفت مدخل الكهف ؟!

أدهشته رنة الغضب العنيفة في صوتها ، وهي تتابع في حدة :

العملاقة ، في كل أركان الأرض ، ولكننى أحتاج إلى دليل قاطع يثبت هذا .

قال في توتر:

_ دلیل مثل ماذا ؟!

كادت أسناتها تحطّم بعضها البعض ، وهي تجيب : - جثته .

وعلى الرغم من خبراته السابقة ، واعتياده مواجهة المخاطر والمفاجآت ، وجد الروسى نفسه يهتف في دهشة بالغة :

١٢ منته -

أجابته السنيورا في صرامة مخيفة :

_ نعم يا (يورى) .. أريد جثة (أدهم صبرى) .. هذا هو الدليل الوحيد ، الذي يمكن أن يثبت مصرعه . قال الروسى في حدة :

_ سنيورا .. هل تعلمين كم يتكلف أمر كهذا ؟! أجابته في سرعة وعصبية :

- كل أموال الأرض يا (يورى) .. لست أبالى .. أنقق أية أموال ممكنة .. المهم أن تمنحنى ذلك الدليل ، الذي لا يقبل الشك ، على مصرع الرجل الوحيد ،

فى العالم أجمع ، الذى يمكنه إفساد مشروعى النووى . وبدا صوتها شديد العصبية والتوتر والانفعال ، وهي تضيف :

- لقد استثمرنا المالايين في هذا المشروع أيها الروسى ، ولا بأس من حماية تلك الملايين بمليون أو مليوني دولار إضافيين .. هل تفهم ؟!

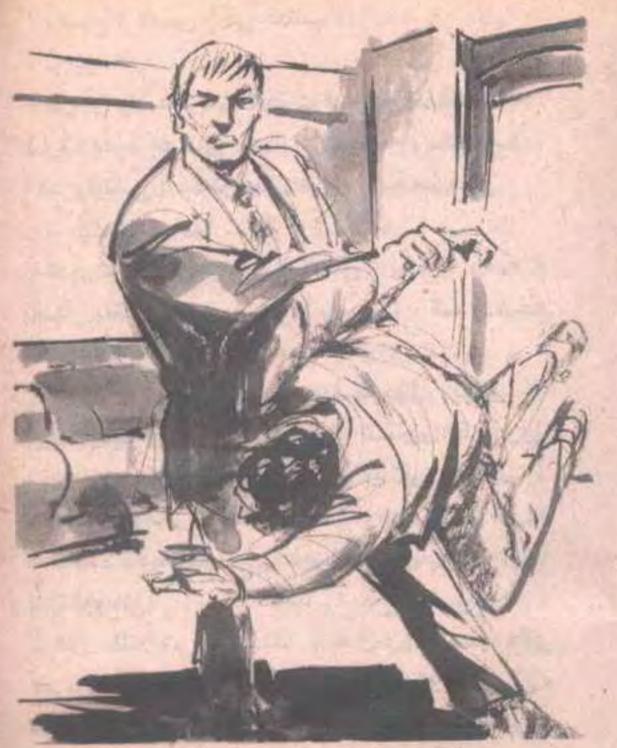
صمت (يورى) لحظة ، فصرخت بكل غضب الدنيا :

- هل تفهمنی یا (یوری أندروفیتشی) ؟! أجابها فی ضیق :

- نعم يا سنيورا .. أفهمك .. أفهمك جيدًا .

وأنهى الاتصال ، وهو يقاوم بأقصى قوته للسيطرة على توتر أعصابه ، والحفاظ على ملامحه الباردة الجامدة ، ولكن (لاماس) أطلق ضحكة ، ساخرة عالية ، وهو يخرج زجاجة الخمر الصغيرة من جيبه ، ويرتشف منها رشفة أخرى ، قائلاً :

- لا داعى لأن تخبرنى بشىء أيها الروسى .. لقد فهمت ما حدث .. السنيورا غضبت ، وعنفتك ، وطالبتك بإثبات ما قلت .. أليس كذلك ؟!



ثم يثب مرغمًا ، ويدور حول نفسه ، قبل أن يهوى ليرتطم بالأرض في عنف . .

قالها ، وراح يقهقه ، ويقهقه ، في سخرية مستفزة ، ثم مد يده بالزجاجة الصغيرة إلى الروسى ، متابعًا :

- هيا .. لا تخجل مما حدث يا رجل .. أنت مجرد بشر ، ولست مقاتلاً خرافيًا خارقًا .. ارتشف رشفة من هذا ، وستنسى كل ما قالته السنيورا ، وكل ما فعلته أنا لإنقاذك ، و ..

« اخرس أيها الوغد .. »

انطلقت العبارة ، من بين شفتى (أندروفيتشى) صارمة ، قاسية ، حازمة ، على نحو احتقن له وجه (لاماس) ، وجعله يهتف ثائرًا :

_ وغد ؟! من ذا الذي تصفه بالوغد، أيها الشيوعي الحقير ؟!

ثم انقض على (أندروفيتشى)، بكل غضبه وثورته، إلا أن هذا الأخير تفادى انقضاضته فى بساطة وخفة، ثم التقط معصمه، وأداره فى براعة، فوجد (لاماس) نفسه يندفع أكثر إلى الأمام، ثم يثب مرغمًا، ويدور حول نفسه، قبل أن يهوى ليرتطم بالأرض فى عنف ..

وصاح (لاماس) في غضب :

_ أيها الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، تفجرت في فكه لكمة كالقتبلة ، طارت معها إحدى أسناته الأمامية ، مع صوت (أندروفيتشي) ، وهو يقول في صرامة مخيفة : - إياك أن تنطقها .

تفجّرت الدماء من أنف (لاماس) وشفتيه وقمه ، وحدّق بعينين زاتغتين في (يورى) ، الدي تابع بنفس الصرامة :

ربما كنت مقاتلاً شرساً ، وسط جبال (بوليفيا) ، بين الأوغاد والصعاليك ، ولكنك لن تتساوى قط مع رجل مخابرات سوفيتى سابق ، وينبغى أن تفهم هذا جيداً . مسح (لاماس) الدماء بكمه ، وهو يتشبث بطرف المنضدة ، وينهض فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن الروسى ..

كان مقاتلاً شرساً شجاعًا بالفعل ، ولا يهاب حتى أشرس دُناب جبال (بوليفيا) إلا أن حياته بين هؤلاء الذئاب ، جعلته يدرك جيدًا ذلك المنطق الوحشى ، الذي تدار به الأمور ، في العالم السفلى ..

البقاء والزعامة دائمًا للأقوى ..

ومن هذا المنطئة ، نهض (لاماس) يواجه
 (أندروفيتشى) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ويبدو أن الروسى قد أدرك هذا بالقعل ..

فلقد استدار يولى ظهره للشاب ، وراح يتطلع عبر النافذة ، إلى استعدادات المهرجان ، قبل أن يقول فى صرامة :

- نريد هليوكوبتر جديدة ، وتصريح خاص من السلطات ، بالطيران فوق ممر (بيليجرو) ، وفريق من عمال الحفر .. أخبرهم أثنا فريق من الجيولوجيين ، أو باحثين عن الآثار ، أو أى شيء يخطر ببالك .. المهم أن تستخرج التصاريح اللازمة ، بأقصى سرعة ممكنة ، وتبعد الفضوليين عن الممر تمامًا .. أعتقد أن السنيورا تدفع مبالغ طائلة ؛ لتضمن ولاء العديدين هنا .. أليس كذلك ؟!

أجابه (لاماس) بسرعة :

- بالتأكيد يا سنيور .. بالتأكيد ..

أشار (أندروفيتشى) بيده ، قائلاً في صرامة :

- هيا .. اذهب .

انطلق (لاماس) على الفور لتنفيذ الأمر ، فى طاعة عجيبة ، وكأنما لم يعد يتذكر ذلك القتال العنيف ، الذى دار بينه وبين الروسى منذ دقائق ..

أما (أندروفيتشى)، فقد شعر بموجة قوية من الثقة والظفر، تسرى فى عروقه، مع خضوع (لاماس)، إلا أنه ظلّ جامدًا فى مكانه، يتطلع عبر النافذة فى شرود، وقد فجر حديث السنيورا فى عقله تساؤلاً مخيفاً..

تُرى هل لقى (أدهم صيرى) مصرعه بالفعل ؟! هل ؟!

* * *

أشعل مفتش الشرطة البرازيلى (أورتيجا) سيجارته في بطء ، ونفض عود الثقاب في قوة ، قبل أن يلقيه في المنفضة ، وينفث دخان سيجارته في قوة ، وهو يقول لرئيس الشرطة :

- لست أتفق كثيرًا مع آراء الزميل الراحل (باثدرياس) ، حول ارتباط تلك الأحداث العنيفة بأعمال الجاسوسية ، أو أجهزة المخابرات المختلفة ..

صحيح أن لديه معلومات توحى بذلك ، عن أحد المشاركين فى الأحداث ، إلا أتنى أرى أن الأمور أبسط من هذا بكتير ، حتى ولو كان أحد أطرافها رجل مخابرات سابق .

مال رئيس الشرطة نحوه ، يسأله في اهتمام : - كيف ترى الأمر إذن ؟!

التقط (أورتيجا) نفسا عميقًا من سيجارته ، ونفته في بطء ، قبل أن يلوع بيده ، مجيبًا في هدوء واثق :

- حرب عصابات .. قتال بين تجار المخدرات ، أو مهريّبى الأسلحة .. هذا هو التقسير المنطقى ، لمحاولة أحدهم عبور (كوهيدور بيليجرو) ، وسعى الآخرين خلفه بهذه الشراسة .. ثم إن رجال أجهزة المخابرات لن يهاجموا رجال الشرطة ، ويطلقون النار عليهم ، ويقتلونهم بمثل هذه الوحشية .

تراجع رئيسه في مقعده ، قائلاً :

_ هل تعتقد هذا ؟!

أجابه (أورتيجا) في حماس :

ـ بالتأكيد .

_ الموت ..

واتعقد حاجباه في شدة ، مع استطراداته الصارمة : - وبلا رحمة .

وعلى الرغم منه ، شعر رئيس الشرطة بارتجافة واسية ، تسرى في جسده ، ووجد نفسه يغمغم في

توتر:

- نعم .. نعم .. كلنا نعلم هذا .. كلنا ندرك خطورة الاقتراب منهم ، في هذه الفترة من العام .. حتى السلطات تتحاشى هذا بشدة .

ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفتى (أورتيجا) ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

ثم نهض من مقعده ، وسحق سيجارته في منفضة السجائر ، مستطردًا :

- لذا ، فلو أردت نصيحتى يا سيدى ، فأفضل ما نفعله ، هو أن نغلق ملف هذه القضية ، و ..

رفع رئيس الشرطة عينيه إليه بحركة حادة ، وقال في صرامة :

- مستحيل !

ثم عاد يلتقط دخان سيجارته ، وينفثه في الهواء ، قبل أن يتابع :

- من غير مهرئبى المخدرات والأسلحة ، يمكن أن يجازف بعبور (كوهيدور بيليجرو) ، ومواجهة الوطنيين في نهايته ؟!

أوما رئيس الشرطة برأسه متفهما ، وقال :

_ وفي هذه الأيام بالذات .

هتف (أورتيجا) في حماس :

- بالضبط .. إنها أكثر فترات السنة حساسية وخطورة ، بالنسبة لهم ؛ فهم يستعدون للاحتفال بعيد (كل الموتى)(*) ، والاقتراب منهم ، في مثل هذه المناسبة ، يعد دربًا من الجنون ، أو رغبة ملحة في الانتحار ، فبالنسبة لأى غريب يقع في قبضتهم ، لن يكون هناك سوى مصير واحد .

والتقط نفسنا آخر من سيجارته ، ثم نفثه في بطء ، قبل أن يضيف في حزم :

^(*) عيد كل الموتى : عيد يحتقل به سكان (أمريكا الجنوبية) الأصليون ، في موعد محدد من كل عام ، وهم يعتقدون أنه ، في هذا اليوم بالذات ، تعود أرواح الموتى ، لزيارة أهلها في الدنيا ، وأن تلك الأرواح تنزعج بشدة ، إذا ما دنس غريب أرض القرية ، في يوم عودتها .

تراجع (أورتيجا) في حركة حادة ، مغمغمًا : - مستحيل ؟!

ضرب رئيس الشرطة سطح المكتب بقبضته ، قائلاً في صرامة :

- نعم .. مستحيل أيها المفتش .. لقد سقط واحد من أفضل مفتشينا صريعًا ، وهو يتابع هذه القضية ، ولدينا ثلاثة شهود على الأقل ، أحدوا أن هليوكوبتر مجهولة قد حلقت مبتعدة عن الممر ، في اتجاه المدينة ، بعد مصرع (باندرياس) ، وهذا يعنى أن القضية لم تنته بعد ، وأن القتلة ما زالوا هنا ، في (ريو دي جانيرو) .

اتعقد حاجبى (أورتيجا)، وهو يقول فى عصبية: من تطالبنا بالاستمرار فى هذه القضية؟! أشار إليه رئيس الشرطة، مجيبًا فى حزم: من أطالبك أتت يا (أورتيجا)

ونهض مستطردًا في صرامة أكثر:

- إننى أسند إليك هذه القضية ، وأطالبك بمنحى اجابات شافية وافية ، حول كل الأسئلة الغامضة ، التى تحيط بها . . أريد معرفة ما يحدث هنا . . لماذا

حاول بعضهم اختطاف ذلك السائح الألماني ؟! من ذلك الرجل ، الذي قاتل مع زميلته ؛ لاستعادته من مختطفيه ؟! لماذا لجأ إلى (كوهيدور بيليجرو) ، في مثل هذه الظروف ، وفي هذه الفترة الرهيبة من العام ؟! من طارده عبر الممر ؟! وأخيرًا ، من قتل (باندرياس) ؟! كل هذه الأسئلة ، أريد معرفة أجوبتها أينها المفتش (أورتيجا) .. وبأقصى سرعة ممكنة .

تطلّع إليه (أورتيجا) لحظة في صمت ، قبل أن يفمغم :

- كما تأمر أيها الرئيس .. سأبذل قصارى جهدى . قالها ، ودار على عقبيه ، على نحو عسكرى ، وغادر الحجرة ، وهو يلتقط سيجارة أخرى من علبته ، ويشعلها بعود ثقاب ، مغمغمًا :

- يبدو أن الأمور لن تسير كما كنا نتوقع .

واتجه مباشرة إلى مكتبه، ووضع قدميه على سطحه، وهو يسترخى فى مقعده، ويلتقط الهاتف، ليطلب رقمًا داخليًا، ولم يكد يسمع صوت محدّثه، حتى قال:

- إنه أنا يا (دونيو) .. اجر اتصالاً عاجلاً

بالسنيورا ، وأبلغها أن الأمور تتعقد أكثر وأكثر .. الرئيس يرفض إغلاق الملف ، بل وأسند القضية لي شخصيًا ، وريما كان هذا هو الجانب الجيد الوحيد في الأمر كله .. وأبلغها أيضًا أثنى لن أستطيع التعاون على نحو صريح ، في الأيام القادمة ، ولكنتي سأتقذ أوامرها ، وسأواصل البحث عن ذلك الرجل ، الذي

تسعى خلفه ، مهما كلفتى هذا من جهد ومال .. هل سمعتنى جيدًا يا (دونيو) ؟! تأكد من أن تبلغها

العبارة الأخيرة بالتحديد .. مهما كلفني هذا من جهد

ومال .. وكرَّر كلمة (مال) هذه ، لو اقتضى الأمر

المهم أن تبلغها الرسالة .

سأله (دونيو) في اهتمام :

- هل تعتقد أنه يمكنك العثور عليه بالفعل ؟! مط (أورتيجا) شفتيه ، وقال ، وهو ينفث دخان سيجارته في قوة :

_ مستحیل یا رجل ! الرجل اختفی داخل کهف جبلى ، في قلب (كوهيدور بيليجرو) ، ورجال السنيورا نسفوا مدخل الكهف ، فما الذي تتوقعه ؟!

أجابه (دونيو) في قلق :

- السنبورا تقول : إنه من المحتمل أن يكون هناك مخرج آخر لذلك الكهف الجبلي!

قهقه (أورتيجا) ضاحكا في سخرية ، قبل أن يقول:

- مخرج آخر ؟! هل تعلم كم تبلغ احتمالات وجود مخرج آخر ، لأى كهف جبلي يا رجل ؟! وحتى لو افترضنا وجود ذلك المخرج الوهمى ، فإلى أين يمكن أن يقوده هذا ؟! إلى قلب قرى الوطنيين في الأدغال ، وفي هذا الوقت من العام بالتحديد ..

وأطلق ضحكة أخرى ، ثم تابع في سخرية أكثر : - هل تدرك ما الذي يمكن أن يفعله به هـ ولاء الوطنيون ؟!

صمت (دونيو) لحظة ، ثم قال في جدية صارمة : - السنبورا تشعر بقلق شديد ، من هذا الرجل ، ومنذ بدأت عملي معها ، لم أر شيئا ، أو شخصًا ، أثار في نفسها ذرة واحدة من القلق ، وهذا يعنى أنه من الخطأ التعامل معه بتهاون أو استخفاف .. هل فهمت هذا ؟!

بدا الغضب على ملامح (أورتيجا)، ولكنه سيطر

٢ - مل ؟!

« الموقف خطير للغاية أيها السادة .. »

أطلق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه رجاله ومعاونيه ، قبل أن ينقر بأصابعه على سطح مائدة الاجتماعات ، متابعًا :

- آخر التقارير التي بلغتنا ، تفيد بأن (ن - ١) وزميلته مفقودان ، ولا يوجد أدني أثر لهما ، بعد العثور على السيارة ، التي استخدماها لعبور ممر (بيليجرو) ، بعد استعادته البروفيسير (ماتهايم) مسحوقة بصخور ضخمة ، داخل الممر ، والأكثر إثارة للقلق أن رجال شرطة (ريو دي جانيرو) ، قد عثروا على جثة البروفيسير (ماتهايم) ، صريعًا برصاصة في رأسه ، أطلقت من مسافة قريبة .

اتسعت عينا الدكتور (محمد العفيفى) ، وهو يهتف :

_ نعم يا رجل .. فهمت .

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف ، ثم أطفأ سيجارته قبل أن تكتمل ، وتراجع فى مقعده ، مشبكا أصابعه أمام وجهه ، وقد انطلق فى أعماقه ذلك السؤال ، الذى يشغل أذهان الجميع ، فى تلك اللحظات . . ثرى هل قضى (أدهم صبرى) نحبه بالفعل ؟! . . هل ؟!

* * *



رباه! هل قتلوا البروفيسير (ماتهايم) ؟! يا إلهى !! لم أتصور قط أن يلجئوا لهذا ، لمنع تلك السنيورا من الظفر به .

التفتت إليه كل العيون في استنكار ، أطل واضحًا في لهجة المدير ، وهو يقول :

- إلى أين قفر خيالك يا دكتور (محمد) ؟! لوَّح الرجل بيده ، مجيبًا :

- الأمر لا يحتاج إلى خيال جامح ، لتصور ما حدث يا سيادة المدير . لقد نجح رجال تلك السنيورا فى محاصرة رجلكم هذا ، وكادوا يستعيدون (مانهايم) ، لذا فلم يجد أمامه سوى أن يقتله لـ ..

قاطعه المدير فجأة في صرامة :

_ مستحیل ا

تراجع الدكتور (محمد) في دهشة ، فتابع المدير : ـ لو أنك تعرف (أدهم صيري) مثلما نعرفه ، لأدركت أنه لن يفعل هذا قط .. إنه لن يطلق النار على بريء ، حتى ولو دفع حياته ثمنًا لهذا .

قال الدكتور (محمد) في إصرار:

_ ولكننى لو كنت في موضعه لقعلتها ؛ فالأمر

لايحتمل التفكير الطويل .. إما أن تفشل السنيورا في استعادة ذلك الرجل ، أو تصبح لديها القدرة على التاج سلسلة من القنابل الذرية ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده في أي مكان ستنفجر ، ولكنها ستودي حتمًا بحياة ملايين الأبرياء ، فماذا تفعل في مثل هذه الظروف ؟! وأيهما تختار ؟! حياة بريء واحد ، أم ملايين الأبرياء ؟!

تبادل الرجال نظرة متوترة ، تشف عن اقتناعهم بمنطقه إلى حد كبير ، ثم قال أحدهم :

- ولكننا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى يا دكتور (محمد) .. إننا نعتقد أن الذي قتل البروفيسير (مانهايم) ليس رجلنا (ن - ١) وإنما هو أحد رجال السنيورا على الأرجح.

ارتفع حاجبا الدكتور (محمد) في دهشة ، وهو يقول :

- ولماذا يفعل أحد رجال السنيورا هذا ؟! أجابه رجل آخر في سرعة :

- لأن السنيورا لم تعد بحاجة إليه .

التقى حاجبا الدكتور (محمد) في حدر ، وأدار

عينيه فى وجوه رجال المخابرات ، وراوده الشك لحظة ، فى أن الرجال يسخرون منه ، ثم لم يلبث عقله المتطور أن ربط الأمور بعضها ببعض ، فهتف :

_ آه .. فهمت .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا في حماس :

_ عملية إعدام البروفيسير (بولانسكى)، فى معتقل (سيبريا)، بدت للجميع أشبه بلعبة متقتة، خاصة وأن الروس قد أعلنوا من قبل مصرع (بولانسكى)، فى حادث ما، وهذا قد يعنى أن (بولانسكى) لم يمت، فى هذه المرة أيضًا، وإنما تم إعلان إعدامه، لتهريبه من المعتقل إلى جهة ما، ونظرًا للمعلومات الجديدة، ومقتل البروفيسير (مانهايم)، فالأرجح أن تلك الجهة هى السنيورا، التى علمت من مصدر ما، أن (ديوك بولانسكى) ما زال حيًا، فاستعاضت به عن (مانهايم)، ولم تعد بها حاجة إلى هذا الأخير.

ابتسم أحد الرجال ، وهو يشير إليه ، قاتلاً : - بالضبط .

في حين قال المدير في جدية :

- من الواضح أنك موهوب في أعمال المخابرات أيضًا يا دكتور (محمد).

ارتبك الدكتور (محمد العقيقى) ، وعدًل منظاره الطبى قوق أنفه ، وهو يغمغم في خجل :

- إنه مجرد استنتاج محض .

أجابه المدير :

- بالضبط .. وهنا تكمن العبقرية .

ثم نهض إلى تلك الخريطة الكبيرة على الحائط ، متابعًا :

- ولو أن تلك النظرية صحيحة ، وهذا هو الأرجح ، فهذا يعنى أن البروفيسير (بولانسكى) قد تم نقله ، فور إعلان مقتله ، إلى (أمريكا) الجنوبية ، حيث المقر المحتمل للسنيورا ، ولو انطلقت به الطائرة نحو الشرق ، فستبلغ منتصف القارة ، خلال سبت ساعات فحسب ، مما يعنى أن البروفيسير (بولانسكى) قد اتضم بالفعل إلى فريق السنيور النووى ، منذ نحو ساعتين في المتوسط .

ثم تطلّع إلى الدكتور (محمد العفيفي) ، متابعًا في اهتمام :

التفت إليه المدير ، قائلا :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .

ثم التقى حاجباه ، وهو يضيف في حزم :

- ولكن (منى) و (قدرى) سافرا سراً إلى (ريو دى جانيرو) ، ونظراً لخبرتهما السابقة ، ومعرفتهما الجيدة لـ (أدهم) ، أعتقد أتهما سينجمان في العثور عليه .

غمغم أحد الرجال:

_ لو أنه على قيد الحياة .

رمقه المدير بنظرة صارمة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كيف يعترض على عبارته ، وهي تتفق تمامًا مع منطق الظروف والقراتن والأدلة ؟!

كيف يشرح للرجال ما يشعر به فى أعماقه ، من أن (أدهم) لا يزال حيًا ، دون أن يمتلك دليلاً واحدًا على هذا ؟!..

كيف ؟!..

كيف ؟!..

وقبل أن يجد جوابًا لسؤاله ، سمع أحد الرجال يقول :

- السؤال الآن هو : في حالة اكتمال ذلك الفريق ، مع وجود كل الأدوات والخامات اللازمة ، كم تحتاج السنيورا من وقت ، لإنتاج أولى قنابلها الذرية ؟!

رفع الدكتور (محمد) عينيه إلى سقف الحجرة ، وبدا منهمكا في التفكير لدقيقة أو يزيد ، ساد خلالها الحجرة صمت تام ، قبل أن يعيد عينيه إليهم ، مجيبًا : - حوالي ثلاثة أيام .

تبادل الرجال نظرات سريعة ، ثم استقرت عيونهم عند المدير ، الذي قال :

- هذا يعنى أن هذه هى أقصى مدة نمتلكها ، لمنعها من بلوغ غايتها .

قال أحد الرجال في توتر:

_ سيدى .. لماذا لا ترسل فريقًا من الرجال ، و .. قاطعه المدير في حزم :

- لن يكون هذا مجديًا .. المشكلة ليست فى عدد الرجال ، ولكن فى خبرة التعامل مع السنيورا ، وفى هذا المضمار لن نجد من يتفوق على (أدهم صبرى).

قال أحدهم في شيء من العصبية :

- وأين هو (أدهم صيرى) ؟!

- ولكن لماذا لم يخبرنا أحد أن الإدارة قد أسندت مهمة البحث عن (ن- ١) إلى (منى) و (قدرى) ؟! الدفع آخر يتساءل في توتر:

- وهل يمكن أن تنجح فتاة في طور النقاهة ، ومزيّف مدنى ، في مهمة كهذه ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول في صرامة :

- (منى) و (قدرى) لم تسند إليهما المهمة رسميًا . لقد سافرا إلى هناك ، دون موافقة الإدارة . بدت الدهشة على وجوه الجميع ، حتى الدكتور محمد العفيفي) ، الذي غمغم :

- وكيف هذا ؟!

تابع المدير ، وكأنه لم يلحظ دهشتهم ، أو يسمع تعليق الدكتور (محمد) :

- (منى) لم تعد إلى العمل رسميًّا بعد ، و (قدرى) في إجازته السنوية ، ولا أحد يمكنه منعهما من السفر ، الى أي مكان يحلو لهما .

ثم أضاف في حزم:

- كل ما في الأمر أننا سنسعى للاستفادة من حماقتهما ، التي ستدفعهما حتمًا للبحث عن (أدهم) ، والتوصل إلى مكانه .

كرر الرجل بصوت أكثر ارتفاعًا: - هذا لو أنه ما زال على قيد الحياة.

وفى هذه المرة ، ران على حجرة الاجتماعات صمت رهيب ، والسؤال يتفجّر فى رءوس وقلوب الجميع بلا هوادة ..

> أين (أدهم صبرى) الآن ؟! أين ؟!

* * *

تطلّع موظف التصاريح إلى (لاماس) بضع لحظات في صمت ، قبل أن يزدرد لعابه ، ويغمغم في تؤتر وارتباك ، وهو يميل نحوه ، حرصًا على ألا يسمعه أحد :

- إننى على استعداد تام بالطبع ، لتنفيذ كل ما تأمر به السنيورا يا سنيور (لاماس) ، ولكن الموقف متوتر للغاية اليوم ، والشرطة ما زالت تفحص المكان ، بعد أن لقى المفتش (باندرياس) مصرعه هناك ، ومن غير المنطقى أن نمنح أى مخلوق تصريحا بالتنقيب هناك ، مهما كانت الأسباب والمبررات .

قال (لاماس) في صرامة :

- امنحنا التصريح بتاريخ مسبق .

هز الرجل رأسه في قوة ، وتلفّت حوله في توتر بالغ ، هامسًا :

- لن يقتنع أحد بهذا .. هناك أوراق وسجلات ، وأمور عديدة ، يمكن أن ينكشف بها الأمر ، والعقوبات ستكون صارمة عنيفة ، لا قبل لي بمواجهتها .

اتعقد حاجبا (لاماس) في شدة ، وهو يقول :

- هل تعنى أنك ستعارض أوامر السنيورا يا رجل ؟! تراجع الرجل في هلع ، ولوح بذراعيه في ذعر ، اتفا :

- لا .. لا .. أمّا لم أقل هذا يا سنيور (لاماس) . ثم عاد يتلفّت حوله في ذعر ، مكملاً :

- ولكننى شرحت لك الأمر كله .

تطلع (لاماس) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول في صرامة :

- التصريح يا رجل .

امتقع وجه الرجل ، وهو يهمس في ضراعة :

- أرجوك يا سنيور (لاماس) .. أرجوك .

كرر (لاماس) في غضب صارم :

_ التصريح .

ازداد امتقاع وجه الرجل ، وأخرج منديله ، ليجفف عرفًا وهميًّا عن وجهه ، وهو يتلفَّت حوله مرة أخرى ، قائلاً في الهيار :

_ سنبور (لاماس) .. سيفصلوننى من العمل حتمًا ، لو أدركوا أننى فعلت هذا .

ابتسم (لاماس) في سخرية ، وهو يقول :

_ والسنيورا ستفصلك من الحياة كلها ، لو لم تفعل هذا با رجل .

اتسعت عينا الرجل في ارتياع ، وبدا وكأنه سيسقط فاقد الوعى ، وهو يتمتم في مرارة :

_ أعلم هذا يا سنيور (لاماس) .. أعلم هذا .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وكأنما تضاعفت سنوات عمره مرات ومرات ، والتقط قلمه ، وامتدًت أصابعه المرتجفة تضع توقيعه على التصريح ..

وفي ظفر ، التقط (الماس) التصريح ، ثم أخرج من جيبه مظروفًا متخمًا بالدو الرات ، والقاه إليه ، قائلاً :

_ كلاً .. لم أنس هذا ، ولكننى تصورت أن الموقف الحالى لا يحتمل النوم .

قال (كوادروس) في صرامة :

- كل بشر يحتاج إلى النوم يا رجل .

أجابه (لاماس) في حدة :

_ أعلم هذا ، ولكن ..

قاطعه صوت صارم ، يقول :

_ أنت على حق يا (لاماس) .

استدار الآثنان في دهشة إلى مصدر الصوت ، وتضاعفت دهشتهما ، عندما وقع بصرهما على (يورى أندروفيتشي) ، في كامل حلته ، أنيقًا متألفًا ، مفعمًا بالحيوية والنشاط ، وهو يتابع :

_ الموقف الحالى لا يحتمل النوم .

ر صمت (لاماس) لحظة ، وهو يحدِّق فيه ، ثم لم يلبث أن هتف في حماس :

_ لقد حصلت على التصريح .

أشار (أتدروفيتشى) بيده ، قائلا :

_ لم نعد بحاجة إليه .

بُهِ (لاماس) لحظة ، ثم هتف في حنق :

- أحسنت فعلاً يا رجل .

مدّ الرجل أصابعه المرتجفة ، ليلتقط المظروف ، ويدسنه في جيبه ، متمتمًا :

- أتعشُّم هذا .. أتعشُّم هذا .

دس (لاماس) التصريح في جيبه ، والطلق به الى سيارته ، وراح يشق بها شوارع المدينة ، التي انهمكت في الاستعداد لمهرجان الليلة ، حتى بلغ ذلك المنزل ، الذي يقيم فيه الجميع ، في منتصف المدينة ، واتدفع داخله يقول في حماس .

- لقد حصلت على التصريح يا سنيور (أندروفيتشى) لقد ح ...

قاطعه (كوادروس) بإشارة من يده ، قائلاً :

- اخفض صوتك يا (لاماس) .. القائد نائع .

ارتفع حاجبا (لاماس) في دهشة ، وهو يقول :

- نائم ؟!

أجابه (كوادروس) :

- بالطبع يا رجل .. أنسيت أنه لم يغمض له جفن ، طوال نيلة أمس ؟!

غمغم (لاماس) في دهشة :

- ماذا تعنى بأننا لم نعد بحاجة إليه يا هذا ؟! أجابه (أندروفيتشى) في صرامة :

- السنيورا أبلغتنى أن أحد مفتشى الشرطة هنا يعمل لحسابها ، وأته سيتعاون معنا في عملية البحث عن (أدهم صبرى).

وصمت لحظة ما قبل أن يضيف في حزم:

شعر (لاماس) بالسخط والغضب ؛ لأن الجهد الذي بذله ، للحصول على التصريح ، بدا سخيفًا في تلك اللحظة ، فقال في عصبية :

- وكيف سينجح ذلك الشرطى في معاونتنا ، على الرغم من توتر الموقف ؟!

أجابه (أتدروفيتشي) في برود :

- لقد أسندوا إليه مهمة التحقيق في الأمر .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يضيف :

- وهو ينتظرنا الآن عند ذلك الكهف ، الذي نسفنا مدخلة .

تمتم (لاماس) في عصبية :

- عظيم .. أتعشم أن يكون قد أحضر جيشًا من

العمال ، ليفتح لنا الطريق ، بعد كل تلك الانهيارات الصخرية ، التي سدّت معظم الممر، في أثناء العاصفة . رمقه (أندروفيتشي) بنظرة باردة كالثلج ، قبل أن مقال .

- سنذهب إليه بالهليوكوبتر .

قال (لاماس) في عصبية :

_ هليوكوبتر ؟! وأية هليوكوبتر تلك التي ..

قبل أن يتم عبارته ، تابع (أندروفيتشي) في حزم :

_ هليوكوبتر تحمل شعار الشرطة .

واتعقد حاجبا (لاماس) في شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ودون أن يجد في نفسه القدرة على أن يفعل ..

ففى تلك اللحظة ، وعلى الرغم من معرفته السابقة ، أدرك أن قوة ونفوذ السنيورا يمتدان إلى أبعد مما كان يتصور ..

وعلى نحو مخيف ..

للغاية ..

* * *

ارتجفت أصابع (دى مال) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر في معمله الخاص ، في وكر السنيورا ،

وزاغت عيناه ، وهما تحدِّقان في الشاشية ، التي تحمل حساباته ومعادلاته ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه في كفيه ، هاتفا في مرارة :

- لا .. لا يمكنني أن أفعل هذا .. لا يمكنني .

كان يقاوم رغبة عنيفة في البكاء ، مع شعوره بالقهر والعجز ، إلا أنه لم يستطع كتمانها طويلا ، فتفجّرت دموعه غزيرة ، حتى غمرت وجهه ، وهو يغادر مقعده في حدة ، مكملا :

- لا يمكنني أن أساعد في إنتاج قنابل ذرية ، أعلم جيدًا أتها ستستخدم لقهر النفوس ، وقتل الأبرياء .. لا يمكنني هذا أبدًا .

راح يدور في الحجرة بعصبية بالغة ، وعقله يستعيد كل ما حدث ، في اليومين السابقين ، حتى استقرَّت أفكاره عند لقائه الأخير بالسنيورا ..

وتذكر حديثهما عن ابنته غير الشرعية (برجيت) ... لم يدر كيف عرفت السنبورا بأمرها ، وهو يحرص طوال عمره على إخفائها ، ونفى صلته بها ؟!

> هل كانت تراقبه منذ زمن طويل ؟! هل راقبت لقاءاته المختلسة بها ؟!

ولكن كيف ؟!.. كيف ؟!

لقد كان يبذل قصارى جهده للتخفى ، كلما ذهب للقاء (برجيت) ..

وكان يلتقى بها في مكان مختلف ، كل مرة !! وهذا يعنى أن السنيورا أقوى مما يتصور .. أقوى بكثير ..

ولكن من أدراه أنها قادرة على الظفر بابنته فعلا ؟! ربما كان حديثها مجرد تهديد أجوف فحسب ..

إنه واتق من أنها تستطيع الظفر بابنته ، وقتما تشاء ..

قوتها وسطوتها ، اللتين تتمثلان في ذلك المركز التووى المتكامل ، الذي أنشأته في قلب جيال (بوليفيا) ، تؤكدان قدرتها على فعل أى شيء ..

أى شيء ..

تصاعدت في أعماقه مرة أخرى ، تلك الرغبة العارمة في البكاء ، فهتف بكل حنقه ومرارته : - لا .. لن يمكنني هذا قط .



تطلّعت إليه بنظرة نارية ، وهي تلتقط دخان سيجارتها ، ثم نفثته في بطء . .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انفتح باب معمله آليًا ، وظهرت على عتبته السنيورا ، وهي تنفث دخان سيجارتها الطويلة ، قائلة :

- ينبغى أن تحاول يا بروفيسير .

حدِّق فيها لحظة ، في مزيج من الدهشة والغضب ، قبل أن يهتف في حدة :

- هل تراقبيننا ؟!

هزّت كتفيها في لامبالاة ، وهي تدلف إلى معمله ، والباب يُغلق خلفها آليًا ، وقالت في برود :

- أعتقد أن هذا أمر طبيعى .. إننى أحتجزكم هنا ، على الرغم من إرادتكم ، ولابد أن أراقبكم طوال الوقت ، حتى لا يُقدم أحدكم على حماقة ، تفسد مشروعي النووى كله .

قال في حدة وغضب:

- أسلوب حقير .

تطلعت إليه بنظرة نارية ، وهي تلتقط دخان سيجارتها ، ثم نفتته في بطء ، قائلة :

- ربما ، ولكنه يحقق ما أصبو إليه .

ضرب سطح منضدة قريبة في عنف ، هاتفًا :

دقيقة كاملة ، ألقت سيجارتها بعدها أرضًا ، وسحقتها بقدمها ، قائلة في صرامة :

- أحياتًا لا يكون الموت مخيفًا ، بقدر ما تكون وسيلة الموت نفسها .

ارتجف صوته ، وهو يسألها في عصبية :

ـ ماذا تعنین ۱۶

نهضت قائلة :

- إنه مجرد تساؤل يدور فى ذهنى يا بروفيسير (دى مال) .. تُرى أية وسيلة تصلح ، للقضاء على (برجيت) الجميلة الرقيقة ؟! هل نسلخ جلدها حية ، أم نسكب الحامض المركز على جسدها ووجهها قطرة فقطرة ؟!

احتقن وجهه بشدة ، واتسعت عيناه في ارتياع راق لها ، فقالت في هدوء مستفز :

- هذا يتوقف على فترة التعذيب المطلوبة ، قبل أن تلقى مصرعها بالطبع .

هتف في غضب ، وهو ينقض عليها :

_ أيتها اللعينة .

مالت في رشاقة ، متفادية انقضاضته ، ثم لكمته

- لا يا سنيورا . لن يمكنك تحقيق ما تسعين إليه . . لن أتعاون قط مع منظمة إجرامية كمنظمتك . حتى ولو كان الثمن حياتى .

ثم اتعقد حاجباه في شدة ، مستطردًا :

- أو حتى حياة ابنتى (برجيت) .

انعقد حاجباها ، وهي تتطلع إليه بنظرة صارمة ، قبل أن تقول :

- هل تعى حقًّا ما تقول ؟!

أجابها في عصبية :

- نعم .. لقد فكرت في الأمر جيدًا ، ووجدت أن موت ابنتي آت لا محالة ، فإما أن تقتليها أنت ، أو تقتلها واحدة من قتابلك الذرية ، وهذا يعنى أن تعاوني معك لن ينقذها من الموت ، بل ربما يجعل الموت أقرب إليها من حبل الوريد .

انعقد حاجباها الجميلان في شدة ، وهي تنفث دخان سيجارتها في توتر ، متطلعة إليه في صمت ، وأدركت بخبرتها وذكائها أن الرجل يعنى جيدًا ما يقول ، وأن أعصابه لم تعد تحتمل الاستمرار في التعاون معها ، فلاذت بالصمت والتفكير العميق ، لأكثر من

أجلك .. من أجلك وحدك .. ولشوان ، تطلع إلى الشاشة ، قبل أن تنحدر من عينيه دمعة ساخنة ، ويعود لمواصلة عمله ..

وبمنتهى الاستسلام ..

* * *

أشعل المفتش (أورتيجا) سيجارته في بطء، داخل هليوكوبتر الشرطة، التي حلّقت فوق مصر (بيليجرو)، ويداخلها (أندروفيتشي) و (لاماس)، و(كوادروس)، وقال بابتسامة واثقة:

- لست أدرى سر إصرار السنبورا على العثور على جثة ذلك الرجل .. إن هذا أكثر صعوبة من العثور على إبرة في كومة من القش ، فهو قد لقى مصرعه على الأرجح ، داخل ذلك الكهف ، عندما نسفته قنبلتكم نسفًا ، أما لو كان قد عثر بالمصادفة البحتة على مخرج آخر ، فسيقوده ذلك المخرج حتمًا إلى قلب منطقة الوطنيين ، وهذ مصير أسوأ من الموت بالقنبلة ، خاصة وأنه سيصل البهم منهكًا ، لو قاتل داخل الكهف ، أو عبر مخرجه الآخر المزعوم . أجابه (أندروفيتشى) في هدوء ، وهو يتطلع إلى

فى معدته لكمة كالقنبلة ، ولوت ذراعه خلف ظهره ، ثم أدارت جسده فى خفة ، فطار فى الهواء ، وارتطم بمقعده فى عنف ، ليسقط معه أرضًا ..

ومع كل الآلام ، التي البعثت في جسده ، هتف :

اتعقد حاجبا السنيورا في صرامة مخيفة ، وهي تواجهه ، قائلة :

- إياك أن تحاول مرة أخرى يا رجل .. إياك . ثم اتجهت نصو الباب ، في خطوات هادئة ، وتوقّفت أمامه ، حتى انفتح آليًا ، وقالت في صرامة دون أن تلتفت إلى عالم الذرة :

- قم بعملك .

قالتها ، وغادرت الباب ، الذي انغلق خلفها في نعومة ، تاركة (دى مال) داخل المعمل يلهث في ألم وانفعال ، وينتحب مغمغمًا :

- لا فائدة . لا فائدة .

ثم تعلق بمقعده ، ودفع جسده إليه ، متابعًا في مرارة :

- سامحینی یا (برجیت) .. إننی افعل کل هذا من

الممر أسفله ، ويستعيد ذكريات صراع الساعات السابقة :

- ليس من الضرورى أن نعثر على جثته بالتحديد .. يكفى أن نجد دليلاً قاطعًا على مصرعه .

قهقه (أورتيجا) ضاحكًا، وهو يلقى عود الثقاب،

- لديك ألف دليل منطقى يا رجل .. لقد أحضرت فريقًا من رجال الشرطة ، في محاولة لرفع الصخور المنهارة ، عند مدخل ذلك الكهف ، وهم يعملون منذ أكثر من ساعتين دون جدوى .. هل يبدو لك من المنطقى أن ينجو رجل ما من شيء كهذا ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، قبل أن يقول في صرامة :

- نريد دليلا قاطعًا .

هز (أورتيجا) كتفيه ، ونفث دخان سيجارته ، قائلاً :

- لابأس يا رجل .. لابأس .. الرجال يبذلون قصاري جهدهم ، للبحث عن هذا الدليل ، أما نحن ، فسنتفقد الممر بأكمله ، ثم نحلق فوق قرى ومناطق الوطنيين ، لعلنا نجد شيئًا .

تمتم (أندروفيتشى) في صرامة :

_ لا بأس .

أما ﴿ كوادروس) ، فقد هزَّ رأسه ، قائلاً :

- لو أردتم رأيى ، فكل هذا مجرد إضاعة للوقت .

أجابه (لاماس) في حدة :

- لم يطلب أحد رأيك .

قال (كوادروس) في لهجة مستفزة :

_ إننى أمنحه مجانا .

قال (لاماس) في عصبية :

_ هذا أمر طبيعي ، فهو لا يساوى شيئا .

ضم (كوادروس) قبضته ، قائلاً في غضب :

_ أهذا رأيك ؟!

صاح بهما (أندروفيتشي) في صرامة:

_ كفى .

لم يكد ينطقها ، حتى اتفجر (أورتيجا) ضاحكًا ، وقال :

رائع .. تمامًا مثلما يحدث بين رجال الشرطة .. كنت أتصور أن العمل في القطاع الخاص يختلف . أجابه (أندروفيتشي) في صرامة مقتضبة :

- إنه يختلف بالقعل .

نفث (أورتيجا) دخان سيجارته ، وهم بقول شيء ما ، إلا أته شيعر بعدم رغبة الروسي في الاستطراد ، فأطبق شيفتيه ، ومظهما لحظة ، ثم استرخى في مقعده ، وراح يدير عينيه فيما حوله ، والهليوكوبتر تواصل التحليق فيوق (كوهيدور بيليجرو) ، متجهة نحو مواقع الوطنيين ، و ..

، « ما هذا بالضبط ؟! »

هتف (أندروفيتشى) بالسؤال فجأة ، وهو يشير الى أقصى اليمين ، قالتفت الجميع إلى حيث يشير ، ووقع بصرهم على عامود من الدخان ، يتصاعد من بين الأدغال ، على نحو متقطع ، أشبه بإشارات الهنود الحمر (*) ..

اتعقد حاجبا (أورتيجا) ، وهو يقول :

- إنها إشارة التضحية .

ردد (كوادروس) في دهشة :

- إشارة التضحية ؟!

أجابه (أورتيجا) في سرعة:

- نعم .. إنها إشارة دخانية ، يطلقها الوطنيون ، عندما يقدمون قربانًا للأرواح العائدة ، في عيد (كل الموتى) .

سأله (أندروفيتشى)، وهو يعتدل في اهتمام بالغ:

أجابه (أورتيجا) وهو يشير للطيار بالاتجاه نحو الدخان .

ـ يعنى أنهم قد قدُّموا قربانًا للأرواح ، وهذا القربان بشريًّا على الأرجح .

التقى حاجبا الروسى في شدة ، وهو يقول :

_ بشرى .

قفزت إلى ذهنه عشرات الأفكار ، التي لم تنتقل قط اللي لسانه ، وهو يتطلع إلى عامود الدخان ، والهليوكوبتر تقترب منه ..

وتقترب ..

وتقترب ..

^(*) الهنود الحصر ، هو الاسم الذي يطلق على سكان (أمريكا) الشمالية الأصليين ، ومنذ كشف القارة الجديدة ، كان هؤلاء الهنود الحمر يستخدمون ما يسمى بإشارات الدخان ، لنقل الرسائل فيما بينهم ، عبر المسافات الطويلة ، وهذه الإشارات أشبه بإشارات (موريس) التلغرافية ، ولكنها تتم بوساطة الدخان المتقطع .

ثم فجأة ، أصبحت الرؤية واضحة ..

جيش من الوطنيين ، يلتف حول حفرة كبيرة ، الدلعت فيها النيران ، وتصاعدت منها أدخنة كثيفة ، مع رائحة شواء عنيفة ، وقد انهمك خمسة منهم فى تحريك مراوح ضخمة ، بزوايا مدروسة ، بحيث يتقطع عامود الدخان ، على نحو منتظم ..

وما إن دخلت الهليوكوبتر مجال الرؤية ، حتى تفجّر غضب هادر في ذلك الجيش البدائي ، وانطلقت من حلوقهم صيحات حادة مستنكرة ، وهم يلوحون برماحهم في الهواء ، فهتف الطيّار :

- لا ينبغى أن نقترب منهم اليوم .. إنهم ثائرون للغاية .

صاح به (أندروفيتشي) في صرامة :

- اقترب أكثر يا رجل .. أريد أن أرى ذلك الذي يحترق في الحفرة .

هتف الطيار:

- خطر يا سيدى .. خطر .

صاح (أندروفيتشي) :

_ قلت لك : اقترب أكثر .

لم يكد يتم صيحته ، حتى تحول غضب الوطنيين الى تُـورة عارمـة ، وراحـوا يلقـون رمـاحهم نحـو الهليوكوبتر ، فصرخ الطيار :

_ مستحيل :

قالها ، وهو يجذب ذراع القيادة ، ويرتفع بالهليوكوبتر في سرعة ، فصرخ (أندروفيتشي) في غضب :

- لا تخالف أو امرى أيها ال ..

قاطعه (أورتيجا) في حدة صارمة:

- كفى يا سنيور (أندروفيتشى) .. أنت لا تدرك ما تفعله .

استدار إليه (أتدروفيتشي)، قائلاً:

- هل سننسحب من أمام بعض الوثنيين الحمقى ؟! أجابه (أورتيجا) في صرامة ؛

- بالطبع .. هؤلاء الوثنيون في قمة ثورتهم اليوم ، وهم أبرع منا كثيرًا في إلقاء رماحهم ، ولو أن رمحًا واحدًا أصاب مروحة الهليوكوبتر ، فستهوى كلها في قلب قريتهم ، وعندئذ لن تنقذنا قوة في الأرض من أيديهم .

قال (كوادروس) في حزم :

- لا أعتقد أن رماحهم ستنجح في مواجهة رصاصات مسدساتنا .

التفت إليه (أورتيجا) في حدة قائلاً:

- هل تعتقد هذا ؟! اعلم إذن أن هؤلاء الوثنيين يمثلون لنا مشكلة ضخمة للغاية ، ويسببون خسائر فادحة لتجار الأخشاب ، ويمنعون أية محاولات لشق طريق مختصر عبر الأدغال ، إلى العاصمة (برازيليا) ، حتى أن الدولة قد قررت يوما مهاجمتهم ، بفرقة كاملة من القوات الخاصة ، مدغمة بكل الأسلحة القتالية اللازمة ، وتضم أكثر من مائتى رجل ، يجيدون كل أساليب القتال ، فهل تعلم ماذا كان مصير تلك الفرقة ؟!

حدَّق (كوادروس) في وجهه بنظرة عصبية صامتة ، فتابع (أورتيجا) في صرامة :

- لقد أبيدت عن آخرها ، ولم نعثر حتى الآن سوى على عظمة محترقة ، ألقيت عمدًا في (كوهيدور بيلجرو) ؛ لتعلن لنا حقيقة واحدة .

ثم مال تحوه ، مضيفًا :

- إن مواجهة هؤلاء الوطنيين مستحيلة !

اتعقد حاجبا (أتدروفيتشى) فى توتر ، ولم ينبس ببنت شفة ، والهليوكوبتر تنطلق مبتعدة عن المكان ، ودارت فى أعماقه أفكار شتى ، وهو يسترجع كل ما حدث ..

العاصفة ..

اتفجار مدخل الكهف ..

النيران المشتعلة في منطقة الوطنيين ..

رائحة الشواء الرهبية ..

وكلمات المفتش (أورتيجا) ..

ويخبرة رجل مخابرات سابق ، راح بريط تلك الأمور ببعضها البعض ، حتى تجاوزت الهليوكوبتر الممر ، وانطلقت عائدة إلى المدينة ، ثم لم يلبث أن استرخى في مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ثقة وارتياح ، بعد أن توصل إلى قرار نهائى في هذا الشأن ..

لقد التهى أمر (أدهم صبرى) حتمًا .. وإلى الأبد .

* * *

رم ٥ - رجل المستحيل (١١٥) بلا رحمة إ

٣ - مهرجان العنف ..

« السادة ركاب طائرة (بان أمريكان) ، القادمة من (نيويورك) . قائد الطائرة يهنئكم بسلامة الوصول الى مطار (برازيليا) ، ويرجو منكم ربط أحزمة المقاعد ، والامتناع عن التدخين . وشكرًا . . »

لم يكد (قدرى) يسمع ذلك النداء الأخير، حتى هتف في سعادة:

- أخيرًا ..

ابتسمت (منى) في إرهاق ، وهي تقول :

- أنت تعلم منذ البداية ، أن الرحلة إلى (أمريكا) الجنوبية ليست هيئة .

هتف ساخطا :

- ولكن طعام الطائرات لا يشبع أبداً .

وتألَّقت عيناه في نهم ، وهو يستطرد في لهفة :

- يقولون : إن (البرازيل) تشتهر باللحوم .. أليس كذلك ؟!

77

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تقول :

- (قدرى) .. أما زلت تشعر بالجوع ؟! لقد تناولت ثلاث وجبات إضافية ، طوال رحلتنا إلى هنا . لوَّح بسبابته ، قائلاً :

- وجبات سفرية خفيفة يا عزيزتى .. أشياء بسيطة ، لا تشبع من جوع ، ولا تملأ تلك المعدة المسكينة .

ضحكت في إرهاق ، قائلة :

- إنها معدة مسكينة بالفعل .

شعرت مع نهاية عبارتها بارتجاجة خفيفة ، تنبئ عن هبوط الطائرة ، فاتبعثت داخلها موجة من التوتر، حتى إنها لم تكد تلمح إشارة الأمان ، حتى حلت حزام مقعدها ، قائلة :

- هيا بنا .

لحق بها (قدرى) ، وهو يهتف بالعربية :

- رويدك يا (منى) .. الجوع الذى أشعر به ، يمنعنى من اللحاق بك بالسرعة المناسبة .

هتفت مستنكرة :

- الجوع ؟!

- ما سبب زیارتك لبلدنا یا سیدتی ؟! أجابته فی سرعة :

- دراسة اللَّغة الأسبانية ، وزيارة بعض الأماكن الشهيرة هذا .

سألها في شك واضح:

_ bad ?! __

حاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها ، وهي تقول :

ـ ألا يكفى هذا ؟!

لم ترق لـه إجابتها ، فعاد يراجع تأشيرة الدخول للمرة الثانية ، إلا أنها بدت له سليمة تمامًا ، فاكتفى بتفتيش حقيبتها ، التى لم تحو سوى أدوات الزينة التقليدية ، التى يمكن أن تحملها أية أنثى ، ثم لم يلبث أن سمح لها بالدخول ، ثم التفت إلى (قدرى) ، الذى انهمك في تناول شطيرة ضخمة سميكة ، وهو يدفع حقيبته أمامه ، قائلا :

- أما أنا ، فقد أتيت للاستمتاع بالأطعمة البرازيلية الشهيرة ، والتقاط بعض الصور ، فأنا مصور محترف ، كما ستقرأ في جواز سفرى .

ثم هزّت رأسها ، مستطردة : - يا للرجال !

كانت تشعر بمزيج من التوثر والقلق واللهفة ، مع وصولهما إلى العاصمة البرازيلية ، واقترابهما من (أدهم) ..

وارتجف جسدها كله ، مع تردد اسمه في أعماقها . (أدهم) ، زميلها ، وأستاذها ، والشخص الوحيد في العالم أجمع ، الذي خفق له قلبها ، وغرقت في حبه حتى النخاع ..

ترى أين هو الآن ؟!

هل نجح في عبور (كوهيدور بيليجرو) ، في قلب العاصفة ؟!

هل نچا ، ام ؟!

لم تستطع إكمال السؤال في أعماقها ، وسرت في جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، وتوترت على نحو لم يغب عن عيني مقتش الجمارك ، الذي رمقها بنظرة شك ، وهو يطالع جواز سفرها ، وتأشيرة الدخول ، المطبوعة بالنظام ثلاثي الأبعاد ، قبل أن يسألها بلهجة جافة ، وباللغة الإنجليزية :

التقطت الشطيرة منه في لهفة ، مجيبة : _ محتوياتها فقط يا عزيزي (قدري) .

فتحت الشطيرة في لهفة ، والتقطت منها كيسًا من النايلون ، بداخله مسدس صغير ، مصنوع بالكامل من البلاستيك القوى ، وتنهدت في ارتياح ، وهي تخرج المسدس من الكيس ، وتدسّه في حقيبتها الصغيرة ، ثم تسأله :

_ وماذا عن الذخيرة ؟!

ربّت على حقيبته ، مجيبًا :

_ جراب الحاوى يحوى الكثير .

تنهدت مرة أخرى ، قائلة :

- حمدًا لله .. دعنا الآن نبحث عن سیارة ، تنقلنا إلى (ربو دى جانبرو) ، حتى يمكننا تقديم كل مالدينا له (أدهم) .

قالتها ، ثم خفق قلبها في عنف ، عندما طرح عقلها سؤالاً مخيفًا ..

تُرى هل ستجد (أدهم) و (جيهان) على قيد الحياة، عندما تبلغ (ريو دى جانيرو) ؟!

٠ ام ٠٠

ابتسم المفتش ، وهو يراجع محتويات الحقيبة ، التى تتوافق مع المهنة المدونة في جواز السفر .. .
آلات تصوير ..

أفلام خام ..

كيماويات التحميض والإظهار والتثبيت ..

وبسرعة ، راجع المفتش تلك الأدوات ، ثم أعاد اليه جواز سفره ، وابتسم ، قائلاً في هدوء :

- مرحبًا بك في (البرازيل) .

اتسعت ابتسامة (قدرى) ، والتقط حقيبته ، وهو يغادر المطار ، حاملاً شطيرته الضخمة ، ولم تكد (منى) تلمحه ، حتى سألته في اهتمام :

> - هل نجحت في العبور ؟! لوَّح بالشطيرة ، قائلاً :

- بالطبع .. لقد جعلتم منى محترفًا ، في هذا المضمار .

والطلق يقهقه في مرح ، قبل أن يناولها الشطيرة ، مستطردًا :

- أظنت تتلهفين على الحصول على شطيرتى .. أليس كذلك ؟!

ولم يجرؤ عقلها على مناقشة الأمر .. قط ..

* * *

تفجر غضب هادر ، في أعماق السنيورا ، وكادت أصابعها تعتصر سماعة هاتفها الخاص ، وهي تقول له (أتدروفيتشي) في حدة :

- أى قول هذا يا (يورى) ؟! ماذا تعنى بأنه لن يمكنك العثور على جثة (أدهم صبرى) ؟!

أجابها الروسى في صرامة ، على الرغم من حدتها :

- أعنى ما سمعتينى أقوله بالضبط يا سنيورا .. عندى أكثر من دليل على أن الرجل قد لقى حتفه ، ولم يعد له وجود في عالم الأحياء ، ولكن العثور على جثته أمر آخر ، فقد انهارت الدنيا فوق رأسه ، واشتعلت فيها النيران ، حتى بات من المستحيل أن نعثر على عظمة واحدة من بقاياه .

قالت في حدة :

- التجارب علمتنی أنه من المستحیل اعتبار رجل مثل (أدهم صبری) میتا ، دون أن تری جثته بنفسك .

أجابها بنفس الصرامة :

- المشكلة أنه لم يتبق منه ما يمكن رؤيته هذه المرة .. الكهف الذى نسفته داخله انهار على بعضه البعض ، حتى أن فريقًا تابعًا للشرطة ، ظل يرفع الأحجار ، طوال ست ساعات كاملة ، دون أن يصل إلى شيء .

قالت في عصبية زائدة :

- وماذا لو أنه هناك مخرج آخر ؟!

بدا الضيق واضحًا في صوته ، وهو يجيب :

- هذه الفكرة لم تلق قبولاً عند أحد ، ولا أشر لها في كل الخرائط المساحية للمنطقة ، والاحتمال الوحيد لوجود ذلك المخرج الآخر ، هو امتداده حتى منطقة نفوذ الوطنيين ، وهؤلاء قوم وثنيون ، وحشيون ، ويحتفلون في هذه الآونة بأحد أعيادهم الوثنية المقدسة ، وهم يبلغون أقصى شراستهم وعنفهم ، في هذه الأيام ، واقتراب أي غريب منهم يعنى موته ، وبلا رحمة ، ولقد رويت لك ما فعلوه بفرقة قتالية مسلّحة كاملة .

هزئت رأسها في قوة ، قائلة :

أجابها في حدة :

- (أدهم صبرى) مات يا سنيورا .. مات وانتهى أمره .. حاولى استيعاب هذه الحقيقة ..

ثم استعاد هدوءه بسرعة مدهشة ، وهو يستدرك :

ـ ولكننا لا نمانع في بقائنا هنا ، طوال الأيام الثلاثة
القادمة ، خاصة وأن المدينة تستعد للمهرجان
السنوى ، وسنجد الكثير من المرح .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول في صرامة :

- فليكن يا (يورى) .. استمتع مع (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال بالمهرجان ، ولكن لا تغفلوا قط احتمال وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ، حتى ولو بلغ هذا الاحتمال الواحد فى المليون .. هل تفهم ؟!

صمت بدوره بضع لحظات ، ثم قال :

- فلیکن یا سنیورا .. فلیکن .

قالها ، وأنهى المحادثة بغتة ، على نحو جعلها تعقد حاجبيها في غضب ، وهي تقول :

- أيها الوغد .

ونهضت تنفث دخان سيجارتها في عصبية ،

- أريد دليلاً أكثر قوة . قال في حنق :

- هذا كل ما لدينا هنا يا سنيورا ، ولم يمكننا بلوغ ما هو أفضل .

التقى حاجباها فى شدة ، وأشعلت سيجارتها فى عصبية زائدة ، فتابع هو ، فى شىء من الحدة والصرامة :

- أعتقد أن بقاءنا هنا لم يعد مفيدًا . أجابته في سرعة ، وهي تنفث دخان السيجارة : - وكذلك عودتكم .

صدمه الجواب ، فقال في غضب : _ ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابته في صرامة :

- يعنى أن الأمور مستقرة هنا ، إلى حد كبير ، والعمل يسير على ما يرام ، وسيتم إنتاج الدفعة الأولى من قنابلنا الذرية ، خلال ثلاثة أيام فحسب ؛ لذا فوجودكم هنا لن يفيدنا قط ، أما بقاؤكم في (ريو) ، فقد يفيدنا كثيرًا ، إذا ما تبين أنكم جميعًا على خطأ ، وأن (أدهم صبرى) مازال على قيد الحياة .

محاولة استيعاب الموقف ..

كل شيء يؤكد أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه، في (كوهيدور بيليجرو)، على نحو أو آخر ...
ولكن ليس هناك دليلا ماديًا واحدًا على حدوث هذا .
لذا ، فهي لا تشعر أبدًا بالارتياح ..

شىء ما فى أعماقها ، يصر على أنه لم يلق مصرعه بعد ..

شيء لا يمكنها مقاومته ..

وهو أيضًا بلا دليل ..

ولكنه يلتهم كياتها ومشاعرها طوال الوقت ..

ثم إن حياة (أدهم) أو موته لم يعد المشكلة الأولى في حياتها ..

قضيتها الأولى الآن ، هى بلوغ هدفها النووى .. انتاج القنابل الذرية ، التى ستحقق ما تصبو اليه منذ البداية ..

السيطرة ..

السيطرة المطلقة على العالم كله ..

صحيح أن عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين

استثمروا ملايينهم في مشروعها ، يتصورون أنها ستحقق لهم السيطرة على الاقتصاد العالمي . . ولكن هذا لم يكن أبدًا هدفها الأول . .

صحيح أنها ستمتلك السيطرة الاقتصادية عالميًا .. ولكن هذا مجرد جزء من الهدف ..

فهدفها الحقيقى هو السيطرة على كل شيء ... كل شيء بلا استثناء ..

الاقتصاد ..

التجارة ..

التسلح ..

وحتى السياسة الدولية ..

کل شیء ..

تأثقت عيناها بشدة ، عندما بلغت بتفكيرها هذه المرحلة ، ووجدت نفسها تهتف ، وهي تلقي سيجارتها بعيدًا :

- كل شيء ..

جرف الانفعال مشاعرها بشدة ، فارتجف جسدها كله ، وهي تشعل سيجارة جديدة ، وتطلق دخاتها في سقف الحجرة ، قبل أن تتابع في توتر :

- المهم أن يختفى (أدهم صبرى) لثلاثة أيام .. ثلاثة أيام فحسب .

كاتت عبارتها تؤكّد إيمانها الشديد بأن (أدهم) لم يلق مصرعه ..

ولكن السؤال ظل يحفر عقلها بلا هوادة .. لو أنه لم يلق مصرعه فعلاً ، فأين هو الآن ؟! أين ؟! أين ؟!

وظلَ السؤال يعتصر فمها طوال الوقت بلا جواب ...

* * *

على الرغم من أن تلك العاصفة الهوجاء ، التى كادت تدمر المدينة ، لم تنته إلا منذ أقل من اثنتى عشرة ساعة ، إلا أن مظاهر الاحتفال بالمهرجان بدت واضحة ، في كل شارع وكل طريق في (ريو دي جانيرو) ، حتى أن (قدري) لم يتمالك نفسه ، وهو يهتف :

- عجبًا ! هل وصلنا بعد قيام ثورة ما ؟! أجابته (منى) فى جدية ، وهى تقود سيارتها ، عبر شوارع المدينة :

- إنه المهرجان السنوى ، أكبر المهرجانات ، التى تقام فى (ريو) ، على مدار العام ، وكل مخلوق هنا يحرص على الاحتفال به ، مهما كانت الظروف .

تطلع إلى ما حوله فى اتبهار ، قبل أن يقول :

_ عظيم .. هذا يمنحنا صورة السائحين ، اللذين قطعا كل هذه المسافة ، لمشاهدة المهرجان ، أو المشاركة فيه .

غمغمت في عصبية واضحة :

ـ بالضبط .

التفت إليها في قلق ، يسألها :

_ ماذا هناك ؟!

أجابته في توتر:

- هذا المهرجان سيزيد عملية العثور على (أدهم) صعوبة ، فما أن تغرب الشمس ، حتى تزدحم تلك الشوارع بالمحتفلين ، الذين لن يتركوا مترا واحدا للتحرك ، في (ريو دي جانيرو) كلها .
انتقل توترها إليه ، وهو يقول :

- آه .. أنت على حق .. الأمر معقد بالفعل .

قال في إصرار:

_ لا بأس من محاولة واحدة .

أوقفت السيارة على جانب الطريق ، والتفتت إليه ، تسأله في توتر أكثر :

- (قدرى) .. ما الذي تخفيه بالضبط ؟!

تنجنح (قدرى) في حرج ، وهز كتفيه مرة أخرى ، والفرجت شفتاه ، على نحو يوحى بأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وتنهد ، قائلاً :

- يبدو أتنى لا أجيد الحفاظ على الأسرار طويلاً . قالت في صرامة :

_ حسن يا (قدرى) .. كلى آذان مصفية .

أومأ يرأسه عدة مرات ، قبل أن يقول :

_ لقد اتصل بى المدير شخصيًا ، قبل سفرنا مباشرة ، وأخبرنى أن مراجعة كمبيوتر المطار أوضحت لهم أننا ، أنت وأنا ، قد حجزنا تذكرتين على طائرة (بان أمريكان) ، المتجهة إلى (نيويورك) ، وأنه يعلم أننا سنسافر خلف (أدهم) .

قالت في دهشة :

_ عجبًا !! إنهم لم يحاولوا حتى منعنا .

واستغرق في التفكير بضع لحظات ، قبل أن يشير بسبابته ، قائلاً :

- ولكن لماذا لا تلجأ إلى الأسلوب المباشر ؟! أتت تعلمين أن أقصر الطرق ، من نقطة إلى أخرى ، هى الخط المستقيم .

سألته في اهتمام ، يشوبه الكثير من التوتر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها في حماس :

- دعينا نتجه إلى مكتبنا هنا مباشرة ، ونسألهم عما لديهم من معلومات حول (أدهم) ومهمته . بدت عليها الدهشة ، وهي تقول :

- وكيف نفعل هذا أيها العبقرى ؟! إننا هنا بصفة شخصية ، غير رسمية ، و (أدهم) و (جيهان) في مهمة رسمية ، وغيرمسموح لأفراد مكتبنا هنا بالإفصاح عن أية معلومات ، لأشخاص غير رسميين .

هزّ كتفيه المكتظين ، قائلاً :

- دعينا نبذل محاولة واحدة على الأقل . مطّت شفتيها ، قائلة :

- لن تفيد .. إتنى أعرف القانون والقواعد جيدًا .

_ (كوادروس) · · ·

هرع الضخم إليه ، قائلا :

_ أمرك أيها القائد .

أشار (أندروفيتشى) إلى السيارة ، التي استعدّت للانطلاق ، وقال :

- اتبع هذه السيارة ، واجمع كل ما يمكنك من معلومات عن راكبيها .

التقى حاجبا (كوادروس) ، وهو يتطلع إلى السيارة ، قائلاً في حزم وحماس :

_ سمعًا وطاعة أيها القائد .

واتدفع یقفز فی سیارته ، وینطلق بها خلف سیارة (منی) ، فی حین وقف (أتدروفیتشی) یراقبهما یبتعدان ، ثم غمغم :

_ دعينا نرى أين ستذهبين يا فتاة المخابرات المصرية ، وبمن ستلتقين ؟!

قالها ، وعقله يعيد دراسة الأمر كله مرة أخرى .. وفي هذه المرة ، كان يرى الموقف على نصو مختلف ..

مختلف تمامًا ..

* * *

- ليس هذا فحسب ، وإنما سيساعدوننا بكل ما يمكنهم أيضًا .

ثم استدرك في سرعة :

- ولكن ليس بصفة رسمية .

تطلُّعت إليه لحظات في صمت ، ثم هزَّت رأسها ، مغمغمة :

- كان ينبغى أن أتوقع هذا .

وعادت تدير محرك السيارة ، مستطردة :

- فليكن .. دعنا نذهب إلى مكتبنا مباشرة .

قالتها ، دون أن تدرى أن عينين ثاقبتين كاتتا تراقبانها في اهتمام وإمعان ، منذ أوقفت سيارتها في ذلك المكان .:

وفى اهتمام شديد ، غمغم صاحب العينين بالروسية :
- عجبًا !! إنها فتاة المخابرات ، زميلة (أدهم صبرى) السابقة !! كنت أتصور أنها قد لقيت مصرعها منذ فترة ! ترى ماذا تفعل هنا ؟!

ثم التفت إلى شخص ضخم الجثة إلى جواره ، وقال :

« هناك من يتبعنا يا (قدرى) .. »

لم تستطع (منى) إخفاء توترها ، وهي تنطق العبارة ، متطلعة إلى مرآة السيارة الجاتبية ، فاعتدل (قدرى) في مجلسه ، وقال في قلق :

- يتبعنا ؟! وما الذي يعنيه هذا ؟!

أجابته ، وهي تلتقط المسدس الصغير من حقيبتها في حذر:

- يعنى أن أحدهم يشك في أمرنا ، أو أننا مراقبان ، منذ وصلنا إلى هنا .

ارتجف جسده ، وهو يقول :

_ مراقبان ؟! يا إلهي ! أأنت واثقة يا (مني) ؟! أدارت عجلة السيارة بغتة ، لتنحرف في شارع جاتبي إلى اليسار ، قائلة في حزم :

- دعنا نختبر هذا .

أطلقت إطارات السيارة صريرا مزعجا ، وهي تنحرف بزاوية حرجة ، في ذلك الشارع الجاتبي ، قبل أن تنطلق كالصاروخ ، فهتف (كوادروس) في عصبية :

- اللعنة ا

واتحرف بسيارته بدوره ، خلف سيارة (منى) .. ومع-صرير إطارات سيارته ، اتعقد حاجبا (منى) ، وهي تقول له (قدري): - هل رأيت ؟! - هل رأيت ؟!

غمغم متوترًا:

ـ رایت .

تُم سألها في قلق شديد :

- ولكن ماذا سنفعل معه ، أو معهم ؟! أنت مازلت في طور النقاهة ، وأنا مجرد مزور رسمي مسكين ، لا يمكنني حتى أن أقاتل بعوضة !!

أمسكت مسدسها في قوة ، قائلة :

_ سنقاتل ، حتى آخر رمق .

أفزعته عبارتها ، فالتفت يلقى نظرة على السيارة المطاردة ، التي حجب زجاجها الداكن العاكس صورة من يجلس داخلها ، وتساءل مرتجفا عن عدد الرجال الذين يطاردونهما ، و ...

وفجأة ، هتفت (منى) :

_ يا إلهي !

استدار إليها بسرعة ، ورآها تنحرف بالسيارة إلى

أقصى اليسار ، في محاولة لتفادى الارتطام بقافلة صغيرة من النساء ، يدفعن أمامهن تمثالاً ضخمًا ، من تماثيل المهرجان .

وصرخت النساء ..

واتحرفت (منى) بالسيارة أكثر وأكثر ..

ولكن الشارع كان أضيق مما ينبغى ..

لذا فقد حدث الارتطام ..

لم ترتطم بواحدة من النساء ..

ولا بالتمثال الضخم ..

وإتما ارتظمت بجدار المنزل المجاور ..

ارتظم به جاتب سیارتها فی قوة ، وواصلت السیارة اتدفاعها إلی الأمام ، واتطلقت من جاتبها شرارات ناریة عنیفة ، مع صوت احتکاك مخیف ، امتزج بصرخات النساء ، وصریر إطارات السیارة ، وسیارة (کوادروس) ، التی ضغط هذا الأخیر فراملها باقصی قوته ، و (قدری) یحمی وجهه بذراعیه ، صانحا :

- الرحمة يا إلهى ! الرحمة .. والعجيب أن كل هذا لم يستغرق سوى ثوان

٨٦

معدودات ، توقّفت بعدها سيارة (منى) ، وقد التصق جاتبها الأيسر بالجدار ، فى حين واصلت النسوة صراخهن ، وهتف (كوادروس) ، وهو يستل مسدسه الضخع ، ويثب خارج سيارته :

_ عظيم .. القدر أوقعهما في قبضتي .

قالها ، وهو ينقض على سيارة (منى) ، ويفتح الباب المجاور له (قدرى) ، هاتفًا في صرامة :

_ هيا .. غادرا تلك الـ

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق في المسدس الصغير ، الذي صوبَّته إليه (منى) ، ثم هتف ، وهو يتراجع بسرعة :

اللعنة!

ومع تراجعه ، انطلقت رصاصاتها ..

ولكن (كوادروس) تحرّك بسرعة مدهشة ، فألقى نفسه أرضًا ، وأطلق ثلاث رصاصات نحو السيارة ، فارتفعت آهة ألم من (قدرى) ، قبل أن يهتف :

_ لقد أصابني الوغد .

شعرت (منى) بتوتر شديد ، فى هذا الموقف الحرج ، فباب السيارة المجاور لها ، ملتصق بالجدار،

و (قدرى) يسد الطريق إلى الباب الآخر بجسده الضخم، وبالإصابة بتلك الرصاصة، التي غاصت في فخذه، وذلك الضخم حرر الحركة في الخارج، وفي قبضته مسدس ضخم قوى ..

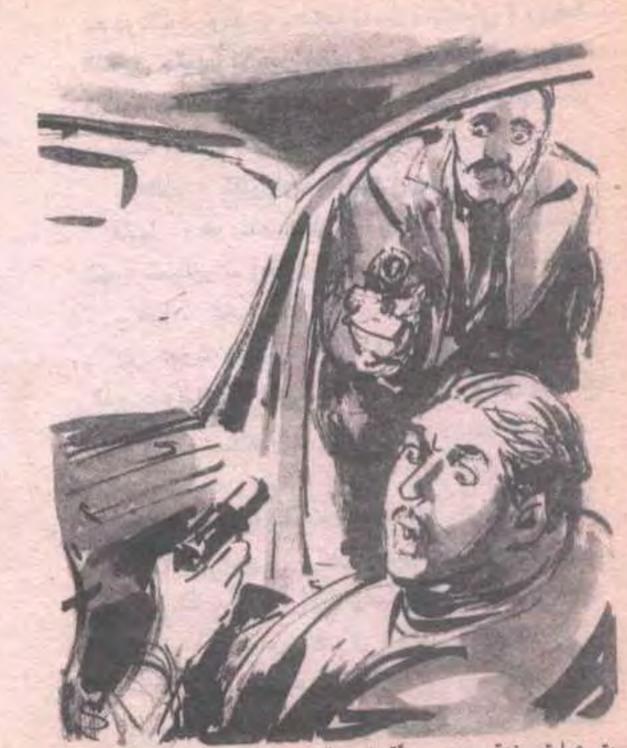
وفى الوقت نفسه ، لم يضع (كوادروس) لحظة واحدة ..

لقد وثب واقفًا على قدميه بسرعة ، وانطلق يعدو عائدًا إلى سيارته ، وهو يطلق رصاصات أخرى نحو سيارة (منى) ، ويهشم زجاجها الخلفى ، ومرآتها الجانبية اليمنى ، وينسف الإطارين الخلفيين ..

وصاح (قدری) فی هلع:

- لقد وقعنا في المصيدة .

لم يكن لدى (منى) ما تجيب به عليه ، فجذبت رأسه إلى أسفل فى قوة ، ثم تحركت فى سرعة ، لتنتقل من المقعد الأمامى إلى المقعد الخلفى ، فى نفس الوقت الذى وثب فيه (كوادروس) داخل سيارته والتقط مسماع جهاز لاسلكى محدود داخلها ، وهتف : - لقد اشتبكت مع الخصم .. أريد إمدادات عاجلة .. نحن داخل الشارع السابع ، المتقرع من طريق نحن داخل الشارع السابع ، المتقرع من طريق (بوليفار) .. أسرعوا .



بتر عبارته بغتة ، وهو يحد ق في المسدس الصغير ، الذي صوبته اليه (منى) ، ثم هتف ، وهو يتراجع بسرعة : - اللعنة ! . .

ومع آخر حروف كلماته ، لمح (منى) تثب إلى المقعد الخلفى ، فصاح فى شراسة ، وهو يطلق نحوها رصاصات مسدسه :

- لا تحاولي أيتها المتحذلقة .

أصابت رصاصاته جسم السيارة ، وعبرت بعضها النافذة الخلفية المحطّمة ، لتخترق الزجاج الأمامى أيضًا ، فبرزت (منى) في سرعة ، وضغطت زناد مسدسها ، و ...

ولم تنطلق منه رصاصة واحدة ..

وفي ارتياع ، حدَّقت في المسدس ، هاتفة :

- إنه لم يكن يحوى سوى رصاصة واحدة .

أجابها (قدرى) ، وجسده كله يرتجف في هلع :

ـ إنها رصاصة من البلاستيك ، تأتى مع المسدسات
الجديدة للاختبار ، أما باقى الرصاصات ، فما زالت
في الحقيبة .

اتسعت عيناها في ذعر ، وهي تقول :

ـ هل تعنى أن ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، مع غصة مؤلمة أغلقت حلقها ، واتسعت عيناها في شدة ، عندما رأت (كوادروس) يبرز من سيارته ، هاتفًا :

- لماذا لم تطلقى النار أيتها البارعة ؟! هل نقدت رصاصاتك أم ماذا ؟!

أحنقها أن أدرك الحقيقة بهذه السرعة ، وتساءلت عما يمكن أن تفعله ، في مثل هذه الظروف ، و ... ولكن (كوادروس) لم يمنحها الفرصة حتى للتفكير ..

لقد نطق عبارته ، واندفع نحو السيارة ، يفرغ فيها ما تبقى من رصاصات مسدسه ..

واتحنت (منی) مرغمة ، لتعبر رصاصات (كوادروس) فوق رأسها ، وفوق رأس (قدری) ، الذی هتف :

- رباه! الآن فقط أدركت ، كم كان من الحماقة أن نأتى إلى هنا ، ونحن بهذا الحال .. لا ريب في أن ..

قبل أن يتم عبارته ، فوجئ بقبضة (كوادروس) تقبض على ياقته ، ثم تجذبه خارج السيارة بحركة حادة عنيفة ، وهذا الأخير يقول في شراسة :

- قل لى أيها البرميل الفارغ .. ألا تمتلك بدورك مسدساً فارغا ، أم أتك تحارب أعداءك بكرشك الضخم هذا .

اتسعت عينا (منى) في دهشة بالغة ، وهي تحدق فيما حدث ..

فعلى الرغم من حجم (قدرى) وبدانته ، انتزعه (كوادروس) من مقعده في بساطة ، ودفعه أمامه في قوة ، حتى ارتظم ظهره بتمثال المهرجان الضخم ...

كان ذلك الشارع الجانبى الصغير قد خلا تمامًا ، مع هروب النسوة ، وإطلاق النيران ، لذا فقد دوت فيه صرخة الألم ، التي أطلقها (قدرى) قوية عنيفة ، على نحو جعل (منى) تنسى كل ما تشعر به من ألم ، وتثب خارج السيارة ، مندفعة نحو (كوادروس) ، الذي استدار يواجهها في وحشية ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ..

ووثبت نحوه (منى) ..

هى نفسها لم تصدّق ما فعلته ، عندما قفز جسدها فى الهواء ، واتدفع نحوه ، لتضربه قدمها اليسرى فى وجهه مباشرة ، وتركل قدمها اليمنى المسدس من يده .

وتراجع (كوادروس) في عنف ، مع قوة الضربة ، الا أنه لم يلبث أن استعاد توازنه في سرعة ، وانقض بكل قوته على (منى) ، هاتفا :

_ كيف تجرؤين ، أيتها الـ ...

قبل أن يكمل قوله ، كان (قدرى) ينقض عليه من الخلف ، ويتعلّق بعنقه ، صائحًا :

- لن تمس شعرة واحدة منها أيها الوغد ..

ارتفع حاجبا (منى) فى دهشة ، مع تلك المبادرة من (قدرى) ، ولكنها لم تشأ إضاعة لحظة واحدة ، فوثبت نحو (كوادروس) ، ولكمته بكل قوتها ، فى معدته وفكه ..

وزمجر (كوادروس) مرة أخرى كوحش كاسر، ثم أدار يده خلف ظهره، وقبض على عنق (قدرى) الضخم، ثم جذبه بقوة رهيبة، جعلت هذا الأخير يطلق شهقة ذعر ودهشة، عندما وجد جسده يطير في الهواء، ثم يسقط أرضًا في عنف، عند قدمي (مني)، التي اختل توازنها في حدة، وهي تتراجع بقفزة خلفية، محاولة تفادي ارتظام جسد (قدري) الضخم بها، فسقطت على ظهرها أرضًا، وانطلقت الضخم بها، فسقطت على ظهرها أرضًا، وانطلقت منها آهة ألم قوية.

- وفي نفس لحظة سقوطها ، وثب (كوادروس) الى الأمام ، والتقط مسدسه الملقى أرضًا ، ثم رفعه

نحو (منی) و (قدری) ، وهو یقول فی سخریة ظافرة:

- لا أحد ينتصر على (كوادروس) قط. اتسعت عينا (قدرى) في ارتياع، وهتف:

. 7 . 7 -

أما (منى) ، فقد اتعقد حاجباها فى شدة ، وتعلقت عيناها بفوهة المسدس القاتلة ، المصوبة اليهما ، والتى تحمل لهما مصيرًا واحدًا ..

الموت ..

وبلارحمة.

٤ - العودة ..

تطلّع الجنرال (دوايت) فى دهشة ، إلى البطاقة التى قدّمها إليه ضابطه ، وبدت عليه الحيرة بضع لحظات ، قبل أن يسأل الضابط ، فى لهجة تحمل شيئًا من القلق :

- وماذا يريد مفتش شرطة فيدرالى منا ؟! لماذا يطلب مقابلتى ؟!

أجابه الضابط في احترام:

- إنه يرفض الإفصاح يا سيدى الجنرال ، ولكنه يؤكّد أن لديه مبررات رسمية لهذه المقابلة .

تراجع الجنرال (دوايت) في دهشة أكبر ، قائلاً :

- ميرزرات رسمية ؟! أية مبررات تلك ، التى تدفع مفتش شرطة فيدرالى لمقابلة جنرال في الجيش .

هزّ الضابط رأسه ، قبل أن يجيب :

- طبقًا للقانون ، لا توجد أية علاقة رسمية ، بين رجال الشرطة الفيدرالية والجيش ، إلا بخصوص



- دعه يدخل -

قالها ، وعاد ليجلس خلف مكتبه في فخامة ، وتطلع إلى الباب ، حتى دلف عبره المفتش (بيكسبي) ، الذي بدا له أطول من اللازم ، وهو يحنى رأسه ليتطلع إليه ، قائلا :

- المفتش (بيكسبى) يا سيدى الجنرال .

أشار إليه (دوايت) بالجنوس ، قائلاً بلهجة قوية ، تناسب جنرالا في الجيش الأمريكي:

- تفضل أيها المفتش ، وأخبرني ماذا لديك بالضبط . أدار المفتش (بيكسبي) رأسه في بنطء ، ليلقى نظرة على الضابط ، الذي رافقه إلى الحجرة ، ثم أجاب في حزم مهذب :

- كنت أفضل أن نتحدَّث وحدنا يا جنرال .

بدا التوتر على الضابط ، الذي لم يرق له ما قاله المفتش ، فتطلع إلى الجنرال في شيء من العصبية ، إلا أن هذا الأخير أشار له ، قائلا بلهجة آمرة :

- اتركنا وحدنا .

تضاعف توتر الضابط وضيقه ، فالتفت إلى المفتش

الجرائم غير العسكرية ، التي تحدث داخل ثكنات . الجيش ، أو التي يرتكبها ، أو يتعرّض لها أفراد من الجيش ، داخل وخارج نطاق التعاملات العسكرية (*). التقى حاجبا الجنرال ، وهو يقول في توتر :

- أتعنى أنه لو ارتكبت جريمة ما هنا ، فمن الممكن أن تتدخل الشرطة لحلها ، داخل تكناتنا ؟! أوما الضايط برأسه ، مجيبًا :

- لو أنها ليست جريمة عسكرية محضة يا سيدى الجنرال.

ازداد انعقاد حاجبي الجنرال في شدة ، ونهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرك داخل الحجرة في صمت ، ثم التقط البطاقة مرة أخرى ، وتمتم محدّثا نفسه :

- المفتش (بيكسبى) .. آه .. فليكن .. دعنا نرى ما يريده ، بدلا من أن نضرب أخماسًا في أسداس . والتفت إلى الضابط ، وهو يشد قامته ، ويكمل في دزم:

^(*) حقيقة : (في الولايات المتحدة وحدها)

محاولاً تفتيشه ، إلا أن المفتش (بيكسبى) ابتسم في سخرية ، قائلاً :

- إلى هذا الحد ؟!

أجابه الضابط في خشونة :

- إنها إجراءات الأمن .

اتسعت ابتسامة (بيكسبى) الساخرة ، على نحو استفز الجنرال (دوايت) ، فقال لضابطه في صرامة : - لا داعى لهذا . . اتركنا وحدنا فحسب .

اعتدل الضابط على الفور ، وقال في احترام بالغ ، تشويه نبرة ضيق واضحة :

- أمرك يا جنرال .

قالها ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، ثم غادر الحجرة فى خطوات واسعة سريعة ، وأغلق الباب خلفه فى رفق ، ولم يكد يفعل ، حتى سأل الجنرال (بيكسبى) فى اهتمام :

- ماذا لديك أيها المفتش ؟!

التقط (بيكسبى) نفسًا عميقًا ، وقال :

- الواقع أتنى أحمل لك خبراً سيئًا إلى حد ما يا جنرال .

تمتم الجنرال ، في قلق بالغ : _ سيئًا ؟!

أوما (بيكسبي) برأسه إيجابًا ، ولوَّح بيده ، على نحو لا يعنى شيئًا محدودًا ، وهو يقول بلهجة خاصة :

_ مساعدك الكولونيل (ألكسندر) .

اعتدل (دوایت) فی مجلسه ، وقال فی قلق شدید : _ ماذا أصابه ؟!

أشار (بيكسبى) إلى جبهته ، وصنع من أصابعه ما يشبه مسدّسنا مصوبنا إليها ، وهو يجيب :

- قَتِلَ .

اتسعت عينا الجنرال ، وانتفض جسده انتفاضـة خفيفة ، وهو يكرر :

- فَتِلْ ؟!

أومأ (بيكسبى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- عثر عليه صديق له ، منذ عدة ساعات في منزله ، مصابًا برصاصة في مؤخرة عنقه .

كرر الجنرال في دهشة بالغة :

- في مؤخرة عنقه ؟!

مال (بيكسبى) نحوه ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

- خبراء الأدلة الجنائية يؤكدون أنه لم يقتل في منزله ، وإنما تم إطلاق النار عليه في مكان آخر ، ثم نقله بعضهم إلى منزله ، في محاولة لإخفاء الأمر .

انفرجت شفتا الجنرال ؛ ليقول شيئا ما ، ولكن (بيكسبى) اعتدل ، مكملا في سرعة :

- ولكن هذا لا يهم كثيرًا .. لقد اعتدنا عمليات التمويه هذه ، وسنتعامل مع الأمر كما نفعل مع أية قضايا قتل أخرى .

سأله الجنرال (دوايت) في عصبية :

_ ما المهم إذن ؟!

أجابه (بيكسبي) بسرعة:

- المهم أن قاتله ، أو قاتليه ، قد فتشوا منزله في عناية بالغة ، وكأتهم يبحثون عن شيء ما .

قال الجنرال في توتر بالغ:

- كل اللصوص يفعلون هذا .

ارتسمت على شفتى (بيكسبى) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لقد استولى القاتل ، أو القتلة ، على كل ما عثروا عليه من نقود ، أو أشياء ثمينة بالقعل ،

ولكن هذا لم يخدعنا ، فقد اتتبه خبراؤنا بسرعة ، إلا أن كل هذا كان بغرض التمادى فى التمويه فحسب ، ومحاولة إقتاعنا بأن القتل قد حدث في المنزل ، بغرض السرقة .

سأله الجنرال في عصبية:

- وكيف كشف خبراؤكم الأفذاذ هذا ؟!

أجابه (بيكسبى) ، وهو يلو ح بكفه في بطء :

- لست أدرى بالتحديد ، فهى أمور فنية للغاية ، ولكننى أعتقد أنها تتعلق بتحديد لحظة الوفاة ، والآثار التى توجد على الجسم ، من أثر جره أو تحريكه ، مع درجة تختر الدم ، والزرقة الرمية ، وتلك الأمور الأخرى ، التى يجيدها هؤلاء الخبراء ، ولكن الشيء الواضح للغاية ، هو أنه على الرغم من الرصاصة ، في مؤخرة عنقه ، لم نجد قطرة دم واحدة في المنزل كله .

التقى حاجبا (دوايت) فى شدة ، وهو يتمتم : _ آه .. فهمت ..

ثم سأل ، مستعيدًا عصبيته :

-ولكن ما علاقة هذا بنا ؟! أعنى من التاحية الرسمية .

لم ترق له ابتسامة (بيكسبى)، وهو يشير بسبابته، قائلاً:

- آه .. هنا نأتى لنقطة التماس . وجلس على أول مقعد صادفه ، مكملاً :

- عندما فحصنا منزل الكولونيل (ألكسندر) ، عثرنا على عدد محدود من البصمات ، مما يوحى بأنه ليس شخصية اجتماعية ودودة ، ولكن أكثر ما أثار انتباهنا ، هو أن تلك البصمات المحدودة ، كانت تضم بصمات اثنين أحدهما يدعى (سواتر) ، والآخر (كاندى) ، وكلاهما من أخطر مجرمى هذا العصر .. ئيس لأنهما لصان وقاتلان فحسب ، ولكن العصر .. ئيس لأنهما لصان وقاتلان فحسب ، ولكن الغن عملهما الرئيسى الآن يثير اهتمامنا وقلقنا بشدة . أطلت نظرة متسائلة ، من عينى الجنرال (دوايت) ،

فتابع (بيكسبى) على الفور :

- إنهما صانعا أسلحة .

سأله الجنرال في حذر قلق :

- وماذا في هذا ؟!

هز (بیکسبی) کتفیه ، وقال :

- أعلم أن بلادنا تضم أكبر صناع السلاح في العالم

يا جنرال ، ولكن (سواتر) و (كاتدى) ليسا منهم .. انهما يعملان لحسابهما ، ودون تراخيص رسمية ، مما يجعلهما قادرين على بيع أسلحتهما لمن يدفع الثمن ، بغض النظر عن الانتماء أو الجنسية ، أو حتى الهدف من شراء السلاح .

قال الجنرال في سخرية عصبية :

- وهل تختلف كثيرًا أهداف شراء الأسلحة ؟!

أجابه (بيكسبى) في حزم :

- بالتأكيد .. هناك أسلحة تستخدم للهجوم ، وأخرى للدفاع ، وثالثة للحماية .

قال الجنرال بنفس السخرية العصبية:

19 Las -

أدرك (بيكسيى) ما يرمى إليه الجنرال ، فابتسم ، ولوَّح بذراعه ، قائلاً :

- فليكن. سنقول إن أهداف شراء الأسلحة متشابهة ، مهما كانت الأحوال ، ولكن هذا أيضًا ليس المهم . . سأله الجنرال في حدة وعصبية :

- ما المهم إذن ؟! وقوفك هنا تتحدّث إلى ، بهذا التطويل السخيف المهم ؟!

أجابه المفتش في صرامة:

- كلاً يا جنرال .. المهم هو أن الكولونيا (ألكسندر) مسئول رسميًا عن متابعة تطوير عدد من الأسلحة الجديدة ، وعندما يقدم صانعا أسلحة ، مثل (سواتر) و (كاتدى) على قتله ، وتقتيش منزله بمنتهى الدقة ، فهذا يقودنا فورًا إلى احتمال مخيف ، وهو أن يكون جيشنا الهمام قد فقد أسرار أو تصميمات أحد ، أو بعض أخطر أسلحتنا .

اتتفض جسد الجنرال في عنف ، وهب من مقعده ، وهو يمسك حافة مكتبه بمنتهى القوة ، حتى كادت أصابعه تغوص فيها ، وحدق في وجه (بيكسبي) بضع لحظات ، وارتجفت شفتاه ، وهو يتمتم :

ماذا تقول يا رجل ؟!

أجابه (بيكسبى) في حزم :

ـ ما سمعته يا جنرال ـ

انتقلت الارتجافة إلى جسد الجنرال كله ، وهو يقول : - كلاً أيها المفتش .. هذا لا يمكن أن يحدث ؛ فلدينا هنا نظام محكم دقيق ، يمنع تسرب تصميمات الأسلحة السرية ، بأية وسيلة كاتت .

سأله (بيكسيى) في هدوء:

_ هل تعتقد هذا يا جنرال ؟

صاح الجنرال (دوايت) في اتفعال :

- بكل تأكيد أيها المفتش .. الجميع هنا .. وأقصد الجميع بلا استثناء ، يخضعون لتفتيش دقيق ، بكل الوسائل اليدوية والإليكترونية الممكنة ، عند خروجهم من هنا ، وتصميمات الأسلحة كلها محفوظة في خزانة إليكترونية خاصة ، لا يمكن فتحها إلا بوساطتي شخصيًا ، أو ...

قاطعه (بيكسبى) في حزم :

- أو بوساطة الكولونيل (ألكسندر) .

اتسعت عينا (دوايت) في ارتياع ، وتراجع في بطء كالمصعوق ، وهو يحدِّق في وجه المفتش ، ثم لم يلبث أن هتف في حدة :

> - من المستحيل أن يفعل (ألكسندر) هذا . تنهد المفتش ، وقال :

> > _ ريما يا جنرال .. ريما ..

ثم مال تحوه ، مستطردًا :

_ ولكن هل لك أن تفسر لي ، لماذا كان الكولونيل

(ألكسندر) يستخدم جهاز (المودم)(*) ، المتصل بكمبيوت التصميمات العسكرية ، لنقل بعض المعلومات إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بمنزله ، لمدة ساعة يوميًّا ؟!

اتسعت عينا (دوايت) في ذعر ، وهتف : - مستحيل ! كيف .. كيف عرفتم هذا ؟! هزً (بيكسبي) رأسه ، وقال :

- أنا مجرد مفتش شرطة فيدرالى يا جنرال ... أنفذ فقط ما يأمرنى به رؤسانى ، ولست أدرى كيف يتصرف الخبراء في الإدارة ، ولا كيف يحصلون على مثل هذه المعلومات ، ولكن من الواضح أنهم يجيدون عملهم إلى أقصى حد .

تراجع (دوایت) ، لیسقط علی مقعده ، مغمغما : - بالتأکید .

وفى بطء ، رفع يده ، ليسند إليها رأسه ، الذي بدا له أثقل من مصنع للحديد والصلب ، وعقله ينطلق فى كل الاتجاهات ، ويبحث عشرات الاحتمالات ، و ... « أعتقد أن الأمر يحتاج إلى مراجعة دقيقة يا جنرال .. »

دوت عبارة المفتش في رأس الجنرال ، كألف ألف مطرقة ، فرفع عينيه إليه في بطء ، وتمتم بصوت مبحوح :

- بالتأكيد أيها المفتش .. بالتأكيد .

نطقها ، وعقله وأفكاره كلها تدور حول سلاح واحد ، كانت له الأولوية ، في الأيام القليلة الماضية . ذلك السلاح ، الذي يحمل اسمًا متميّزًا ..

اسم مشروع خاص ..

مشروع (السوبرمان) ..

* * *

« لو أتنى في موضعك ، لما استخدمت هذا السلاح أيها الوغد .. »

الطلقت العبارة بغتة ، في ذلك الشارع الضيق ، في قلب (ريو دي جاتيرو) ، فشهق (قدري) في قوة ،

^(*) المودم: وسيط هاتفي خاص ، يربط أجهزة الكمبيوتر ببعضها البعض ، ويسمح لكل جهاز كمبيوتر مزود به ، بنقل أو استقبال المعلومات ، من أي جهاز كمبيوتر آخر ، يحوى وسيطًا هاتفيًا مشابهًا أو من أية نوعية أخرى ، عن طريق أسلاك الهاتف .

واتسعت عينا (منى) عن آخرهما ، وخفق قلبها في عنف ، في حين استدار (كوادروس) في سرعة ، الى موضع الصوت ، وهو يدير فوهة مسدسه إليه ، و ...

وكانت المفاجأة عنيفة للغاية ..

وفي نفس اللحظة ، التي صرخت فيها (مني) : - (أدهم) ؟!

كان هذا الأخير يثب فى خفة مدهشة ، ويركل المسدس من يد (كوادروس) ، قبل أن يفيق من ذهوله ، وهو يقول فى سخرية ، مكملاً عبارته :

ـ فمن السهل أن تفقده .

اعتدل (قدرى)، هاتفًا، في سعادة غامرة: - يا إلهي ! إنه (أدهم).

ارتجف جسد (منى) بأكمله ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تحدق فى (أدهم) ، الذى هبط على قدميه ، وركل مسدس (كوادروس) إلى آخر الشارع ، قائلاً فى سخرية :

- عجبًا ! هل أدهشك وجودى على قيد الحياة أيها الوغد ؟! هل تصورتم أن القضاء على أمرًا سهلاً ؟!

حدًق (كوادروس) فيه لحظة في ذهول ، لم يلبث أن نفضه عن نفسه في سرعة ، وهو يتخذ وقفة قتالية ، ويزمجر في وحشية ، قائلاً :

- لست أدرى كيف نجوت من كل ما حدث يا هذا ، ولكنك ستدرك الآن أن (كوادروس) أكثر خطورة من (كوهيدور بيليجرو).

عقد (أدهم) ساعدیه أمام صدره، وهو یقول ساخرا:

- حقا ؟! .

أطلق (كوادروس) زمجرة أخرى مخيفة ، تردد صداها في الشارع كله ، وهو ينقض على (أدهم) كوحش كاسر ..

ومرة أخرى ، التفض قلب (منى) فى عنف .. إنها تدرك ما واجهه (أدهم) ، منذ بضع ساعات فحسب ..

وتعلم بأمر إصاباته السابقة ..

تلك الإصابات العنيفة ، عند مواجهته للسنيورا في (المكسيك) (*) ..

^(*) راجع قصة (الأفعى) .. المفامرة رقم (١٠١)

وإصابات مواجهت لفريق (النينجا) الأسود في (اليابان) (*) ..

وقتاله العنيف مع الطبيعة ، في (كوهيدور بيليجرو) (**) ..

ثم استعاد ذهنها مشهد (كوادروس) ، وهو ينتزع (قدرى) من السيارة ، كما لو أنه يجذب دمية صغيرة ..

وتلك اللحظة ، التي جذب فيها (قدرى) بيد واحدة ، وألقاه أرضًا ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

. 3

لن يتمكن (أدهم)، في حالته هذه، من مواجهة وحش آدمي كهذا قط..

لن يتمكن أبدًا ..

دارت كل هذه الأفكار في رأسها ، في جزء من الثانية ، و (كوادروس) ينقض على (أدهم) ،

(*) راجع قصة (اغتيال) .. المغامرة رقم (١١٠) (* *) راجع قصة (ممر الجحيم) .. المغامرة رقم (١١٤)

مطلقًا صرخة وحشية رهيبة ، وهذا الأخير ما زال يعقد ساعديه أمام صدره ، و ...

وفجأة ، وقبل أن يصل (كوادروس) إلى خصمه ، تفرق ساعد (أدهم) بسرعة مذهلة ، والطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ، لتنفجر في فك (كوادروس) ، في حين وثبت قدمه اليسرى ، في اللحظة نفسها ، لتغوص في معدته ..

كاتت حركة مزدوجة قوية ، بالغة السرعة والعنف ، باغتت (كوادروس) ، الذي أطلق صرخة ألم قوية ، وتراجع في حدة ، ثم هتف في غضب هادر :

- لا .. لا يمكنك أن تفعل هذا ب (كوادروس) .

ووثب مرة أخرى نحو (أدهم) ، الذى مال جانبًا في رشاقة مدهشة ، متفاديًا تلك الانقضاضة العنيفة ، ثم دار حول نفسه في خفة ، ليتجاوزه (كوادروس) ، والتقط معصم هذا الأخير في اللحظة المناسبة ، ليديره خلف ظهره ، ثم يقفز ليركله بقدمه اليسرى في فكه ، ويلحقها باليمنى في أنفه ، في جزء من خمسة أجزاء من الثانية ..

وصرخ (كوادروس) في ألم وغضب ، عندما

تفجرت الدماء من أنفه وفمه ، وحاول أن يستدير ليواجه (أدهم) ، الذي استقبله بلكمة ساحقة في معدته ، ثم قفز إلى أعلى ، ودار حول نفسه دورة أفقية ، قبل أن يركله في عنقه ركلة رهيبة ، تراجع معها الضخم في عنف ، ليرتظم بالجدار المجاور ، وعندما ارتد عنه ، استقبلته ثلاث لكمات متالية ، بالغة السرعة والقوة ، في فكه وأنفه وجبهته ...

وترنَّح (كوادروس) ، وهو يحدِّق فيه ذاهلاً ، ويغمغم :

ـ مستحیل ! لا یمکن أن ... قاطعه (أدهم) في سخرية :

ـ ما الذي لا يمكن يا ملك الحمقى ؟!

ومع عبارته ، انطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ؛ لتنسف ما تبقى من أنف (كوادروس)، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم هوى فاقد الوعى، عند قدمى (أدهم) . ولثوان ، ران على الشارع الضيق صمت رهيب ، و (منى) و (قدرى) يحدقان في (أدهم) ذاهلين ، غير مصدقين ما فعله منذ لحظات ، حتى التفت اليهما ، وسألهما في هدوء :



وانطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ، لتنفجر في فك (كوادروس) ، في حين وثبت قدمه اليسرى ، في اللحظة نفسها ، لتغوص في معدته . .

_ أأنتما بخير ؟!

نسفت كلماته الهادئة ذلك الصمت ، فوثبت (منى) من مكاتها ، واتدفعت نحوه ، هاتفة :

- (أدهم) .. (أدهم) .

قبل حتى أن تفكر فيما تفعله ، وجدت نفسها بين ذراعيه ، اللتين احتويتا جسدها في رقة وحنان ، وهو يهمس في أذنها :

- نعم یا حبیبتی .. هو أثا .

تنحنح (قدرى) في حرج ، فانتبهت إلى الأمر ، وانتزعت نفسها من بين نراعيه في توتر ، هاتفة :

- ولكن .. ولكنك استعدت كامل لياقتك .

وغمغم (قدرى) في سعادة بالغة :

- بل عدت أفضل مما كثت .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- هذا صحيح يا صديقى العزيز .. إننى لم أشعر في حياتي قط ، بأننى أفضل مما أنا عليه الآن .

قالت (منى) ، وقلبها يخفق في قوة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. كنت أخشى أن يهزمك ذلك الممر .

صمت لحظة ، قبل أن يقول :

- الواقع أنه كاد يفعل يا عزيزتي .

قالت في ارتياح ، وبصوت حمل كل لهفتها وحبها :

_ ولكنك هنا والحمد لله (سبحانه وتعالى) .

تنهِّد في عمق ، مغمغمًا :

- إنها قصة طويلة با عزيزتى .. طويلة وعجيبة للغاية .

سأله (قدرى) في لهفة:

- ولكن أين (جيهان) ؟!

أدار (أدهم) عينيه إليه في صمت ، ثم لم يلبث أن قال :

- سأشرح لكما كل شيء في الطريق .. لقد أخبرتكما أنها قصة طويلة وعجيبة بالفعل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهم دوى أبواق سيارات الشرطة ، فتابع في حزم صارم :

_ دعونا نبتعد عن هنا ، قبل أن تتعقد الأمور أكثر،

and the same of th

قاطعه صوت حازم ، يقول في برود مخيف ، وبلغة عربية ركيكة :

- ريما تعقدت بالفعل يا سيد (أدهم) .

التفت الثلاثة بسرعة إلى مصدر الصوت ، واتعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يتطلع إلى وجه (يوري أندروفيتشي) ، الذي وقف يسد مدخل الشارع ، مع خمسة من رجاله ، يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ، التي يطل منها ذلك الشيء ، الذي يبث الرعب في قلوب أشجع الرجال ..

الموت ..

* * *

لو أن ظهور (يورى أندروفيتشي)، في تلك اللحظة ، كان مفاجأة له (أدهم)، فمن المؤكد أن (أدهم صبرى) كانت أشيه بالصاعقة ، بالنسبة للروسي نفسه ، حتى أنه لم يصدق عينيه في البداية ، وكاد يصرخ من فرط الانفعال ، لولا أن استنفر ذلك البرود المتناهي ، الذي اكتسبه من طول عمله في البرود المتناهي ، الذي اكتسبه من طول عمله في المخايرات السوفيتية ، والذي استقر في وجداته ، وصار جزءًا من تكوينه الشخصي ، ليحافظ على وصار جزءًا من تكوينه الشخصي ، ليحافظ على تماسكه ، وهو يواجه ذلك الموقف ..

وحتى بعد أن بدأت المواجهة فعليًّا ، والتقت عيناه

بعینی (أدهم) ، كان (أندروفیتشی) یتمنی لو أن كل هذا مجرد كابوس ، لن یلبث أن یستیقظ منه ، لیجد أن (أدهم صبری) قد لقی مصرعه ، فی (كوهیدور بیلیجرو) ، ولم یعد له وجود حقیقی ، فی عالم الأحیاء ..

ولكنه ، كرجل واقعى ، استوعب الموقف في لحظات ، على الرغم من دهشته ، وحنقه ، وعشرات التساؤلات الحائرة ، التي تفجّرت في أعماقه ، ورمق (أدهم) بنظرة باردة طويلة ، قبل أن يقول :

_ من الواضح أن (بيليجرو) لم ينجح في هزيمتك يا سيّد (أدهم).

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلا :

_ أراهن أن هذا قد أحنقك يا عزيزى (يورى) ... أليس كذلك ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، ليسيطر على تلك الثورة في أعماقه ، قبل أن يقول :

ـ لقد أدهشنى فى الواقع أيها المصرى ؛ فليس من الطبيعى أن يفلت بشرى من عاصفة رهيبة كهذه ، مهما بلغت قوته ، ثم يقاتل كالوحش ، وينجو من

اتفجار فى كهف جبلى ، وبعد كل هذا يعود بكامل لياقته ، نيهزم (كوادروس) على هذا النحو .

لم يفهم (قدرى) كلمة واحدة ، من ذلك الحديث ،
الذى تبادله (أدهم) مع (أندروفيتشي باللغة
الروسية ، فراح ينقل بصره بينهما في توتر بالغ ،
وهو يمسك فخذه ، التي استقرت فيها الرصاصة ،
وراحت تؤلمه بشدة ، وتسيل منها الدماء ، في حين
أمسكت (مني) ذراع (أدهم) ، وكأنها تحتمي به ،
وتحاول حمايته في الوقت ذاته ، وأخذت ترمق
(أندروفيتشي) ورجاله بنظرات عصبية متوترة ،
انتقلت إلى أصابعها ، فشعر (أدهم) بما يعتمل في
نفسها ، وربّت على يدها في رفق ، وهو يقول في
هدوء ، يحمل رنة ساخرة :

- ريما لا يمكنك بعد استيعاب ما تفعله الطبيعة يا رجل .

صمت (أندروفيتشى) لحظة أخرى ، قبل أن يقول : - ربما يا سيد (أدهم) .. ربما .

تراجع (أدهم) في بطء ، نحو ذلك التمثال الضخم، فابتسم (أندروفيتشي) في سخرية ، وقال :

- لا تحاول يا سيد (أدهم) .. حتى لو افترضنا أنك ستنجح مع زميلتك ورفيقك البدين في تفادي رصاصات رجالي ، فلا تتصور أنك ستنجح في الفرار من الناحية الأخرى للشارع .

قالها ، وهو يشير إلى الجاتب الآخر ، فالتفت (أدهم) في بطء ، ليتطلع إلى (الاماس) ، مع عشرة رجال آخرون ، يحملون أيضًا المدافع الآلية ، عند نهاية الشارع ، وهذا الأخير يشعل سيجارته ، قائلاً :

- هل نطلق النار میاشرة یا سنیور (أندروفیتشی) ؟! ابتسم (أدهم) فی سخریة ، وقال ، وهو یلتفت مرة أخری إلی الروسی :

- رائع .. إنه حصار من طرفين إذن .. يقولون في بلادى : إن هذا يضعنا بين المطرقة والسندان .

أومأ (أندروفيتشى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط يا سيّد (أدهم).

أشار (أدهم) بإيهامه ، قائلا :

- ولكن ماذا عن رجال الشرطة ؟! إنهم في الطريق الى هنا .. هل تسمع دوى أبواق سياراتهم ؟! ابتسم (أندروفيتشي) ، وقال :

٥ _ العملاق ..

« (ن - ۱) على قيد الحياة أيها السادة .. »

نطق مدير المخابرات عبارته ، في ابتهاج واضح ،
انتقل في سرعة إلى الجميع ، فتألقت عيونهم ،
وانفرجت أساريرهم ، وانطلقت منهم جميعًا عبارات
تشف عن الفرح والسعادة والارتياح ، فيما عدا
الدكتور (محمد العفيفي) ، الذي تثاءب في قوة ،
وفرك عينيه ، بعد أن خلع منظاره الطبي ، ثم عاد
يضعه على أنفه ، مغمغمًا في إرهاق واضح :

١٩ ١١٥ -

ارتسمت ابتسامة مشفقة على شفتى المدير ، وهو يتطلع إليه لحظة ، قبل أن يتابع ، مستعيدًا حماسه :

- رجال مكتبنا في (ريو دي جانيرو) كانوا قد فقدوا الأمل في عودته ، بعد انتهاء العاصفة ، والعثور على سيارته مسحوقة بأطنان من الصخور ، وخاصة بعد أن فتش رجال الشرطة الممر كله ، ولم يعشروا فيه سوى على جثث العديد من القتلى ،

بدا الحنق على وجه (لاماس) ، لعجزه عن فهم هذا الحديث ، الذى ما زال يدور بالروسية ، فكرر فى عصبية :

- هل نطلق الناريا سنيور (أندروفيتشى) ؟! التقط الروسى نفسًا عميقًا ، وهو يقول : - أعتقد أنه لا يوجد أى مبرر لإضاعة الوقت .

ثم أشار بيده ، مستطردًا في حزم : ___ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كانت فوهات المدافع الآلية كلها تتجه نحو (أدهم) ، و (منى) ، و (قدرى) ، و ...

وحانت لحظة مواجهة الموت ..

مياشرة .

* * *

ومرور أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، دون أن يظهر (أدهم) أو (جيهان) .. ولكن فجأة ، على حد قولهم ، وجدوا العميد (أدهم) وسطهم في المكتب ، في كامل نشاطه وحيويته ، على الرغم من ملابسه الممزقة والجروح العديدة في جسده ، وكل ما يطلبه حمام ساخن ، وحلة جديدة ، ومسدس من طراز (سميث ديسون) ، مع ثلاثة خزانات احتياطية .

سأله أحدهم في اهتمام :

- وماذا عن (جيهان) ؟! هزَّ المدير رأسه، قائلاً:

- التقرير لم يحو كلمة واحدة عنها ، وهذا يعنى أنها إما لم تعد مع العميد (أدهم) لسبب ما ، أو ... ولم يكمل العبارة ..

ولكن الجميع أدركوا ما يعنيه ..

واتقبضت قلوبهم في ألم ..

ولثوان خيم عليهم صمت ثقيل ، قطعه المدير ، قائلاً :

- لا أحد يدرى أين كان (ن - ١) ، ولا ما الذى حدث خلال الساعات السابقة ، ولا حتى كيف استعاد كل

نشاطه وحيويته ، وكأنه لم يبذل أدنى جهد ، منذ عدة أيام ، ولكن المهم أنه عاد ، وسيواصل المهمة .

قال أحد الرجال في حماس :

- رجال السنيورا مازالوا في (ريو دى جاتيرو) . أشار إليه المدير بسبابته ، قائلاً :

- وهذا هو المطلوب ، فالعميد (أدهم) لم يتوصنًا الى موقعها الفعلى بعد ، وهو يعتقد ، كما يوافقه خبراؤنا ، على أنها ليست في (البرازيل) كلها ، وإنما هي في مكان ما حولها ، بدليل أن رجالها وصلوا إلى (ريو) ، خلال ساعات معدودة ..

ثم التفت يشير إلى خريطة العالم الكبيرة ، متابعا :

- فى (أورجواى) مثلاً ،أو (باراجواى) ،أو (بوليفيا) .. أو ربما فى (الأرجنتين) ، فى تلك المنطقة ، المحصورة بين حدود (باراجواى) ، و (البرازيل) ، و (أورجواى) .. هذه هى المناطق الثلاث ، التى يحتمل وجود وكرها النووى فيها .

سأله أحد الرجال في اهتمام :

- ولماذا ليس في (البرازيل) نفسها ؟! إنها دولة شاسعة ، مترامية الأطراف ، تمتذ من خمس درجات ،

فوق خط الاستواء (*) ، وحتى اثنتين وثلاثين درجة تحته ، وبها عشرات المناطق ، التي تصلح لإنشاء وكر سرى ما .. نووى ، أو غير نووى .

أوماً المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح .. (البرازيل) دولة ذات مساحة شاسعة للغاية ، ولكنها في معظمها أحراش وغابات وأدغال ، وإقامة مفاعل نرى ، أمر لا يصلح على نحو جيد ، في مثل تلك الأماكن ، طبقًا لما قرره الخبراء ، لذا فمن المحتم أن السنيورا قد أقامته في منطقة صحراوية صخرية ، أو وسط الجبال .

رفع الدكتور (محمد) يده في إرهاق ، فأدار المدير عينيه إليه ، وقال :

- هل ترغب في إلقاء سؤال ما يا دكتور (محمد) ؟! أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، فتابع المدير في اهتمام : - هيًا .. هات ما لديك .

تنحنح الدكتور (محمد) ، وتثاءب على الرغم منه ، وهو يعدل وضع منظاره الطبى فوق أتفه ، قبل أن يقول في لهجة عجيبة ، جمعت ما بين الإرهاق والعصبية :

- ألا تتامون أبدًا ؟!

التفت إليه الجميع في دهشة ، فتابع في عصبية أكثر:

النا هنا منذ أكثر من عشر ساعات ، تناولنا خلالها عشرة أقداح من القهوة ، وعددًا من الشطائر الساخنة ، ولكننا لم تحظ بلحظة واحدة من النوم . أخبروني . هل سنواصل هذا الأمر إلى الأبد أم ماذا ؟! لقد اجتمعنا من قبل ، وأتهينا الاجتماع ، وقبل أن أقنع جسدي بالاسترخاء على ذلك الفراش الصغير، الذي وضعتموه في حجرتي ، فوجئت بكم تدعونني لاجتماع آخر ، لم ينفض حتى هذه اللحظة .

بدا التعاطف واضحًا ، في عيون الجميع ، وقال المدير في إشفاق :

- معذرة يا دكتور (محمد) .. لقد واصلنا العمل كالمعتاد ، دون أن ننتبه إلى أتك لست محترفًا في هذا المضمار .

^(*) خط الاستواء: خط وهمى ، يطوق الكرة الأرضية أفقيًا ، ويقع في منتصف المسافة ، بين القطبين ، الشمالي والجنوبي ، ويعتبر خط العرض رقم صفر ، ومستواه عمودي على مصور الأرض تمامًا .

ردَّد الدكتور (محمد) في دهشة : - كالمعتاد ؟!

فادر المدير مقعده ، واتجه إليه ، وجذب مقعده في رفق ، ليدعوه إلى النهوض ، مكملاً :

- تقبل اعتذارنا يا دكتور (محمد) .. لقد أرهقناك بشدة دون طائل .. هيا .. عد إلى حجرتك ، واحصل على ما شئت من النوم والراحة ، حتى نحتاج إلى استشاراتك الفنية .

قال الدكتور (محمد) في ارتباك :

_ أأتت واثق من أتكم لن ..

قاطعه المدير بابتسامة كبيرة :

- عندما نحتاج إليك ، سنرسل في طلبك يا دكتور (محمد) .

أوماً الرجل براسه متفهمًا ، وغادر حجرة الاجتماعات في سرعة ، وهو يلقى التحية على الجميع ، الذين ردوا تحيته بابتسامة هادئة ، ولكنه لم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى تحول المكان مرة أخرى الني شعلة من النشاط ، فنهض أحد الرجال يراجع الخريطة الكبيرة ، ويتبادل الأحاديث مع رفاقه ، حول

مرتفعاتها ومنخفضاتها ، في حين سأل رجل آخر المدير في اهتمام بالغ :

- وماذا عن (منى) و (قدرى) ؟! أجابه المدير، في شيء من الارتياح:

- (أدهم) يعلم الآن أنهما هناك ، وسيلتقى يهما حتمًا .. سبيحث عنهما ، كما يبحثان عنه .

سأله الرجل:

- وماذا بعد أن يلتقى ثلاثتهم ؟!

اتعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

_ ماذا تعنى ؟!

مال الرجل نحوه ، وهو يسأل في اهتمام أكثر :

- أعنى ماذا لو أن وجودهما أعاق مهمته ، بدلاً من أن يساعده ؟!

ازداد اتعقاد حاجبي المدير ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى .. دع الأمور تسير وفقًا لمقدراتها ، وليفعل الله (سبحاته وتعالى) ما فيه الخير للجميع .

قالها بلهجة حازمة حاسمة ، ثم تراجع في مقعده ، لانذا بالصمت التام ، وعقله يكرر السؤال عشرات وعشرات المرات ..

نعم .. ماذا سيحدث .. لو ؟!

* * *

عندما ارتفعت فوهات المدافع الآلية والمسدسات ، من جانبى الطريق ، نحو (أدهم) و (منى) و (قدرى) ، تصور الأخيران أنها النهاية لا ريب ، وأن الرصاصات المنطلقة من الناحيتين ، سوف تحصدهم حتمًا ، و ...

ولكن فجأة ، الطلقت صرخة رهيبة ، ترج المكان

ثم ظهر ذلك العملاق ..

عملاق أسود ضخم الجثة ، هاتل الحجم ، أطلق تلك الصرخة ، وهو ينقض بغتة على (أتدروفيتشى) ورجاله الخمسة من الخلف ، فاتعقد حاجبا هذا الأخير ، واتتقضت أجساد رجاله في عنف ، وهم يستديرون جميعًا في سرعة مدهشة ؛ لمواجهة ذلك الرعب الأسود ، الذي يهاجمهم من الخلف ..

ولكن ذلك العملاق ارتطم بهم فى قوة ، قبل أن يضغط أحدهم زناد مدفعه ، ودفعهم أمامه فى عنف

مخيف ، حتى ارتظموا بالروسى ، وسقط كلهم أرضاً .
وفى نفس اللحظة ، التى ظهر فيها ذلك العملاق ،
دفع (أدهم) (منى) و (قدرى) بعيدًا ، وهو يستل
مسدسه ، هاتفاً :

- ابتعدا !

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، كانت رصاصاته تنطلق نحو (لاماس) ورجاله العشرة ..

ولأن الوقت والظروف لا يسمحان بالتسامح ، أو تطبيق نظرياته الخاصة بالحفاظ على الأرواح ، فقد انطلقت رصاصات (أدهم) تحصد ثلاثة من الرجال العشرة ، وتطبح بمدفعي رجلين آخرين ، قبل أن يتب (أدهم) نفسه ، متعلقًا بالحاجز السفلي لشرفة قريبة ، ثم يدفع قدميه في قوة ، لتضربان ذلك التمثال العملاق ، وهو يهتف به (مني) :

- أسرعا .. بوماج .. ٣ ى .

ولم تكد (منى) تسمع عبارته ، حتى جذبت (قدرى) من يده ، هاتفة :

_ أسرع يا رجل .

لهت (قدرى) في شدة ، قبل حتى أن يعدو ،

144

ودار حول نفسه ، وهو يقول ساخرا :

- ليس بهذه البساطة أيها الأوغاد .

ومع عبارت الساخرة ، ضربت قدماه وجهى (لاماس) والرجل الآخر ، في تتابع وخفة مدهشين ، ليسقط الرجال الثلاثة أرضًا ..

وعندما هب الجميع واقفين ، و (اندروفيتشي) يهتف :

- لا تسمحوا لهم بالقرار .

قفزت الدهشة إلى وجوه الجميع ، وهم يشهرون مدافعهم الآلية مرة أخرى ، ويتلفّتون حولهم في توتر بالغ ، بحثًا عن (أدهم) ، أو (منى) ، أو (قدرى) . أو حتى العملاق الأسود ..

ولكن أحدًا من كل هؤلاء لم يكن له أدنى أثر فى المكان ..

لقد اختفوا كلهم ، كما لو أن الأرض قد الشقت وابتلعتهم ..

وفي عصبية ، هتف أحد الرجال :

- العملاق الأسود كان يعدو إلى هناك .

صاح به (أندروفيتشي) ، وهو يستل مسدسه :

وشمله الانفعال ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يحدِّق في التمثال ، الذي سقط فوق (لاماس) ومن تبقى من رجاله ، وهتف :

- ما .. ماذا قال (أدهم) ؟! لم أفهم شيئا !! صاحت به (منى) ، وهى تجذبه فى حزم ، إلى خارج الشارع:

- فيما بعد يا رجل .. فيما بعد .

كان رجال (أندروفيتشى) يحاولون النهوض، فى تلك اللحظة؛ لمواجهة خصمهم العملاق الأسود الضخم، إلا أن ذلك العملاق انتزع أحدهم من مكانه، ورفعه عاليًا فى سرعة وخفة مدهشتين، كما لو أنه يحمل طفلاً صغيرًا، ثم ألقاه بمنتهى العنف فوق الآخرين، فصرخ (أندروفيتشى) فى غضب:

- اقتلوا هذا الوغد .. أسرعوا ، قبل أن يهرب (أدهم صبرى) منا .

فى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، كان (لاماس) واثنان من رجاله يحاولون النهوض ، لاطلاق النار على (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير ركل مدفع أحدهم بضربة قدم سريعة ، ثم قفز إلى أعلى ،

_ دعـك من ذلك العمـلاق ، ولنلحـق بـ (أدهـم صبرى) .

نهض (لاماس) يلتقط مسدسه في عصبية ، وهتف محنقًا :

_ لقد قتل ثلاثة من رجالنا .

صاح به (أندروفيتشى)، وهو يتجاوزه، ليعدو خلف (أدهم):

- فليذهبوا إلى الجحيم .. اتركهم للمفتش (أورتيجا) ، المهم ألا يفر منا هذا الشيطان .

انطلق أكثر من عشرة رجال خلف (أدهم) ، الذي وثب متجاوزًا رجلين ، انهمكا في وضع اللمسات الأخيرة ، على زينة المهرجان ، ثم انزلق في خفة ، ليعبر أسفل قوس منخفض ، قبل أن يقفز مرة أخرى إلى أعلى ، ويتعلق بشرفة منزل صغير ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها سيارات الشرطة ، وهي تشق طريقها في صعوبة ، وسط الشارع الرئيسي ، الذي ازدحم بالمحتفلين ، وتماثيل المهرجان الضخمة ، فهتف (أندروفيتشي) :

_ ها هو ذا هناك .. الحقوا به .

اندفع رجاله يرتظمون بالمارة ، ويسقطون الناس والتماثيل ، وهم يشقون طريقهم نحو البناية ، التى تعلق (أدهم) بشرفتها ، ولكن هذا الأخير جذب جسده إلى أعلى ، ثم أفلت ذراعيه ، ودار في الهواء دورة رأسية بالغة الرشاقة ، شهق لها المارة في اعجاب وانبهار ، واتسعت معها عيونهم عن آخرها ، عندما هبط على قدميه في مرونة مدهشة ، ثم اندفع نحو ثالث شارع جانبي إلى اليسار ، واتحرف فيه بسرعة عجيبة ..

ومن سيارة الشرطة الرئيسية ، رأى المفتش (أورتيجا) (أتدروفيتشى) و (الاماس) ورجالهما يطاردون (أدهم) ، فصاح بقائد السيارة :

- توقف يا رجل .. القاتل يحاول الفرار .

ولم يكد الرجل يوقف السيارة ، حتى وثب منها (أورتيجا) ، صائحًا في رجاله :

- أسرعوا .. سنطارده على الأقدام .. أسرعوا .

والتقى الفريقان عند بداية الشارع الثالث ، واتضما لبعضهما البعض ، لمطاردة (أدهم) و (منى) و (قدرى) ..

ويا لها من مفارقة !!

فريق من الشرطة والمجرمين ورجل مضابرات سابق ، يطارد فريقًا يضم أفضل رجل مضابرات ، في العالم أجمع ...

ولكن عندما التقى الفريقان ، عند مدخل الشارع الثالث ، كان (أدهم) يثب داخل سيارة (بورش) رياضية حمراء ، وهي تنطلق بالفعل مبتعدة ...

وفي غضب هادر ، هتف (أندروفيتشي):

- لا تسمحوا له بالقرار .

وبلا تردد ، ارتفعت فوهات أسلحة الجميع .. رجال (أندروفيتشي) و (لاماس) و (أورتيجا) ، دون اتفاق مسبق ، و ...

وانطلق سيل من النيران خلف (البورش) الحمراء ..

أكثر من مائتى رصاصة اخترقت جسمها ، دون أن تتوقف لحظة واحدة ، وهلى تنطلق عبر الشارع الجانبى ، حتى بلغت طريقًا أكثر اتساعًا ، وأقل هدوءًا من الطريق الرئيسى ، فانحرفت مرة أخرى إليه ، وانطنقت بها (منى) ، متفادية عشرات التماثيل

وأقواس الزينة ، التى لم ينته إعدادها بعد ، وهى تهتف في سعادة :

- نجونا يا (أدهم) .. نجونا منهم .

التقط نفسًا عميقًا ، وهـ و يعتدل في مجلسه ، ويرسم على شفتيه ابتسامة ارتياح ، قائلا :

_ ليس هذا فحسب يا عزيزتي .

ثم ارتفع حاجباه ، وربّت على كتفها في حنان ، مستطردًا :

> - لقد استعدنا أيضًا لمحة من الأيام الخوالى . خفق قلبها في قوة ، وهي تتمتم :

> > - إلى حد ما يا (أدهم) .. إلى حد ما .

ثم تابعت في مرارة ، وهي تضغط دو اسة الوقود بقوة أكبر ، على الرغم من صعوبة الانطلاق وسط كل هذا الزحام :

- ولكن حالتى الصحية لم تسمح لى بعد ، بالقتال الى جوارك ، عندما حاصرنا هؤلاء الأوغاد ، داخل الشارع الجانبى .

ربَّت على كتفها مرة أخرى في حنان ، هامسا : - كل شيء سيعود إلى ما كان عليه بإذن اللَّه يا عزيزتي .. كل شيء ..

وأين ذهبت (جيهان) ؟! ماذا أصابها ؟!

ماذا ، وكيف ، ومن ، وأين ؟!

عشرات الأسئلة تفجّرت في أعماقها ، وتصورت كلها إلى سؤال واحد :

_ إلى أين تذهب يا (أدهم) ؟!

استرخی فی مقعده ، وارتسمت علی شفتیه ابتسامة هادئة ، وهو یجیب ، مسبلاً جفنیه :

- شوارع (ريو دى جانيرو) لا تروق لى أبدًا ، فى موسم المهرجانات .. زحام ، وضوضاء ، ومشاجرات ، وإطلاق نيران فى الطرقات الجانبية ، وراقصات وراقصين ، وتماثيل ، وأقواس نصر .. أمر مزعج للغاية ، لذا فسنترك المدينة كلها .

تأوَّه (قدرى) مرة أخرى ، وقال :

- لا ريب في أنهم سيراقبون كل مداخل ومخارج المدينة .

> فتح (أدهم) عينيه في بطء ، قائلاً : - وماذا عن المحيط ؟!

تألَّقت عينا (منى) ، وهي تقول :

تأوه (قدرى) في قوة ، وقال في ألم : - معذرة يا رفاق .. أنا مضطر لقطع لحظاتكما العاطفية الرقيقة ، لأخبركما أننى أشعر بألم شديد ، مع تلك الرصاصة في فخذى .

اصطبغ وجه (منى) بحمرة الخجل ، وهى تنطلق بالسيارة ، في حين ابتسم (أدهم) ، والتقت إليه ، قائلاً :

- تماسك قليلاً يا صديقى .. كل شىء سيعود إلى ما كان عليه .. كل شىء ..

نطقها في ثقة شديدة ، جعلت (قدرى) يتطلع إليه لحظة في دهشة ، قبل أن يتراجع في مقعده ، مغمغمًا : _ بالتأكيد يا (أدهم) .. بالتأكيد .

التقى حاجبا (منى) ، مع تلك الكلمات ، وراحت تتساءل في أعماقها : ماذا حدث بالضبط ؟!

كيف استعاد (أدهم) نشاطه وحيويته وقوته كلها بهذه السرعة ؟!

بل كيف عاد أفضل مما كان ؟!

ومن ذلك العملق الأسود ، الذي هاجم الروسى ورجاله ؟!

- بالتأكيد

ثم الحرفت بغتة بالسيارة إلى اليمين ، وقفزت بها أمام فرقة استعراضية ، تقطع الطريق بضجيج مزعج ، قبل أن تندفع عبر شارع ضيق ، فصرخ (قدرى) :

- احترسى يا (منى) .. إنك تؤلميننى كثيرًا .
أجابته بلهجة حملت حماسًا مباغتًا :

- معذرة يا (قدرى) ، ولكن هذا الطريق وحده يمكن أن يقودنا إلى الشاطئ ، حيث ينتظرنا زورق (أدهم) .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وقال فى عصبية : - زورق (أدهم) ؟! أى زورق هذا ؟! (أدهم) لم يذكر أية زوارق ؟!

ابتسم (أدهم)، وقال، وهو يتطلّع إلى (منى) في حب:

- هذه واحدة من مزايا العمل مع (منى) يا (قدرى) .. الها تستوعب كل ما أريد قوله ، دون أن أحتاج حتى لقوله .

هز (قدرى) كتفيه المكتظين ، وتأوَّه في الم ، قبل ان يقول :

- هذا واضح ، ففى ذلك الشارع لم أفهم حرفًا واحدًا من (بوماج ٣ ى) هذه ، فى حين فهمت هى الكثير .

تبادل (أدهم) نظرة عابثة مع (منى)، وضحك كلاهما في مرح، قبل أن تقول هي :

- إنها لغة خاصة ، يعرفها معظمنا ، في جهاز المخابرات ، وبالذات من اعتادوا العمل مغا ، وهي ليست واحدة من الشفرات المعقدة ، وإنما لغة سرية بسيطة للغاية ، فلقد تحدّث (أدهم) بالمقاطع الأولى المختصرة ، لما يريد قوله .. (بوماج ٣ ي) .. أي سيارة (بورش) حمراء ، تنتظر في الشارع الثالث إلى اليسار .

هتف (قدری) فی دهشه : - (بوماج ۳ ی) ، تعنی کل هذا ؟! أجابه (أدهم) مبتسماً :

- بالطبع يا صديقى .. (بو) هى السيارة (البورش) ، و (ماج) تعنى لون (الماجنتا) ، وهو لون يستخدم في الطباعة ، لتعويض اللون الأحمر ، و (٣ ي) تعنى الثالث إلى اليسار .. أمر بسيط للغاية .. أليس كذلك ؟!

عض (قدرى) شفته السفلى ، وهو يمسك فخذه فى قوة ، فى محاولة للسيطرة على الألم والنزيف ، وهو يغمغم :

- بالنسبة لكما فحسب .

ثم هتف في حدة :

- ألن يتوقف هذا الألم اللعين قط ؟!

أجابته (منى) في سرعة :

- لقد وصلنا تقريبًا .

رفع عينيه ، يتطلع إلى الشاطئ ، الذى بدا من بعيد ، تحت الأضواء الساطعة ، التى انتشرت فى المنطقة ، احتفالاً بالمهرجان ، وقال فى ألم :

- المشكلة أننا تركنا الحقائب وما فيها ، في حقيية السيارة ، التي تركناها خلفنا .

غمغم (أدهم) ، وهو يعتدل ، ويتطلّع إلى الشاطئ في اهتمام وحدر:

- لا تجعل هذا يقلقك .

واصل حديثه في توتر:

- لقد أحضرت كل ما تحتاج إليه للتنكر ، وما أحتاج اليه أنا ، لتزوير أية وثيقة مطلوبة ، ورصاصات مسدس (منى) ، و ...

قاطعه (أدهم) ، في شيء من الحزم: _ لا تقلق .

أدركت (منى) أن (أدهم) يفحص المكان جيدًا ؛ ليتأكد من أنهم لا يقبلون على فخ ما ، بعد أن استنبط أحدهم أنهم سيتجهون إلى الشاطئ ، فقالت ، محاولة جذب انتباه (قدرى) بعيدًا :

_ ضياع الحقائب ليس المشكلة الكبرى يا (قدرى) ، فكل شيء يمكن تعويضه ، ولكن السؤال الآن هو ما الذي سيفعله ذلك الروسي ، في محاولته للحاق بنا ، قبل أن نفر من بين أصابعه ؟!

لم تكد تلقى سؤالها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر فجأة ، من خلف أحد الأبنية المواجهة للشاطئ ..

هليوكوبتر تحمل شعار الشرطة ، ومدفعين آليين قويين في مقدمتها ..

ومنذ الوهلة الأولى ، لمحت الهليوكويتر (اليورش) الحمراء ، وهي تنطلق نحو الشاطئ ..

واستدارت لتواجهها ..

ومن خلف واجهتها الزجاجية ، لمح (أدهم) و (منى) وجه (يورى أندروفيتشى) ، الذي يجلس إلى جوار الطيار ، ويشير إليهما مباشرة .. وغمغمت (منى) في توتر:

- إنه رجل المخابرات الروسى السابق .

ولم تكد عبارتها تكتمل ، حتى انقضت عليهما الهليوكوبتر ، وأطلقت نيرانها ..

كالمطر ..

* * *

نفثت السنيورا دخان سيجارتها في قوة وعمق ، وهي تقف في شرفة وكرها ، في قلب جبال (فيلا مونتز) ، في (بوليفيا) ، وتتطلع في صمت إلى النجوم اللامعة ، التي بدأت تظهر في السماء ، مع غروب الشمس ..

كانت ، على الرغم من قسوتها وصرامتها اللامحدودتين ، تشعر بلمحة رومانسية رقيقة ، تتسلل الى مشاعرها ، في تلك الليلة ، وتدفعها إلى الجلوس في شرفتها الواسعة ، والاستمتاع بنسيم الليل ، ومرأى القمر والنجوم ..

ولكنها لم تستطع الاستمتاع بهذا طويلاً ..

مرة أخرى ، راح ذلك القلق الكامن في أعماقها يتصاعد ويتصاعد ، ليمحو تلك اللمحة الرومانسية ، ويسرى في عروقها كالحمم ..



لم تكد تلقى سؤالها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر فجأة ، من خلف الأبنية المواجهة للشاطئ . .

وعلى الرغم مبن محاولتها شغل عقلها بمشهد القمر والنجوم والجبال ، أصرات صورة (أدهم) على احتلال المساحة العظمى من ذهنها ، والسؤال المخيف يتردد في أعماقها كالصدى المتواصل ..

هل لقى مصرعه بالفعل ؟!

الا مل ال

ولوهلة ، حاولت أن تقنع نفسها بأن الجواب هو

نعم ، لقى (أدهم صبرى) مصرعه ، وسط ممر (بيليجرو) ، أو داخل ذلك النقق ، أو ... أو فى أى مكان آخر ..

ولكن لا ..

شيء ما في أعماقها رفض الاعتراف بهذا ... شيء ما في كيانها كله صرخ :

- لا .. لم يمت (أدهم صبرى) بعد .. ما زال اسمه على رأس قائمة الأحياء ، في هذا الزمان ..

ودون أن تدرى ، انتقلت الكلمة إلى لسانها ، فهنفت في حنق :

- Y -

جاء هتافها أعلى مما ينبغى ، حتى خيل إليها أن ذناب الجبال كلها قد سمعتها ، وتوقفت لتحديد مصدر الهتاف ، ثم لن تلبث أن تعوى بشدة ، وتفزع المنطقة كلها ، فألقت سيجارتها عبر الحجرة في عصبية ، والتقطت من علبتها سيجارة أخرى ، وقبل أن تشعلها بقداحتها الذهبية ارتفعت فجأة دقات على الباب ، فقالت في عصبية :

_ من ؟!

أتاها صوت خادمها الخاص ، يقول :

_ إنه أنا يا سنيورا .. هناك محادثة عاجلة من (ريو) .. رجلنا (دونيو) .

اتعقد حاجباها في شدة ، ونقثت دخان سيجارتها في عصبية ، وهي تغمغم :

_ مصادثة عاجلة من (ريو) .. ومن رجلنا (دونيو) .. كم أخشى أن ..

لم تتم عبارتها ، وإنما قالت لخادمها في صرامة : _ أحضر الهاتف .

دلف الخادم إلى الحجرة ، حاملاً هاتفها الخاص ، فوق صينية من الفضة ، فمطّت شفتيها ، وهي تلتقط الهاتف ، قائلة في حدة :

- قلت ألف مرة إننى لا أحب الفضة .. فقط الذهب .. هل تفهمنى ؟!

تنحنح الخادم ، وقال :

- هذه ليست صينية فضية عادية أو تقليدية ياسنيورا .. إنها تحوى نقوشنا أثرية ، ولقد أهداها إليك أمير الـ ...

. قاطعته في غضب :

- قلت : الذهب فقط .

قالتها ، وهي تختطف الصينية الفضية من يده ، وتلقى بها عبر الشرفة بكل قوتها ، فمط الخادم شفتيه ، واعتدل قائلاً في هدوء :

- كما تأمر السنيورا .

ووقف معتدلاً أكثر ، في حين وضعت هي الهاتف على أذنها ، قائلة :

- إنه أنا يا (دونيو) .

هتف البرازيلي في انفعال شديد :

- إنه حي يا سنيورا .. حي .

اتسعت عيناها ، وانتفض جسدها كله في عنف ، قبل حتى أن يعلن الاسم ..

لقد كانت تتوقّع هذا .

وتنتظره ..

وتخشاه ..

وعلى الرغم من تأكدها ، وثقتها ، سألته في لهفة شديدة ، وبصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

Asserted to the

_ عمن تتحدث يا رجل ١٤

هتف (دونيو):

- المصرى يا سنيورا .. ذلك الرجل .. (صيرى) .. (أدهم صبرى) ..

العجيب أن هذا القول كان يتفق مع توقعاتها تمامًا ، الا أنها ، وعلى الرغم من هذا ، وجدت نفسها تقفز من مقعدها ، هاتفة :

_ حی ؟! (أدهم صبری) حی ؟! هل رأيته بنقلسك يا رجل ؟!

أجابها (دونيو) بصوت مرتجف :

_ كلنا رأيناه يا سنيورا .. كلنا .. لقد هاجم السنيور (أندروفيتشى) ، وخمسة من رجالنا ، مع السنيور (لاماس) ، وعشرة آخرين منا ، وهذا بعد أن ضرب (كوادروس) في قسوة ، حتى أفقده الوعى . - بل أنتم الأغبياء .

صمت الرجل ، ولم يحر جوابًا ، فصمت هى بدورها لحظة ، استنفرت خلالها كل قوتها ؛ لتستعيد السيطرة على أعصابها ، قبل أن تسأله في حزم :

- أين (يورى) ؟!

أجابها الرجل في سرعة :

_ يطارد المصرى يا سنيورا .

لم تكن تتوقع هذا الجواب قط، لذا فقد التفض جسدها مرة أخرى ، وكادت أصابعها تعتصر سماعة الهاتف ، وهي تهتف :

_ يطارده ؟!

ثم شملها انفعال جارف ، مع استطر ادتها :

- هل تعنى أن (أدهم صبرى) لم يفر تمامًا ، وأن . (يورى) مازال يرصده ويطارده ؟!

شعر الرجل بالأمل واللهفة في صوتها ، فأجاب في حماس :

- بالطبع يا سنيورا .. سنيور (أندروفيتشى) هذا عبقرى للغاية .. لقد درس الموقف بسرعة ، ثم طلب من المفتش (أورتيجا) إحضار واحدة من طائرات اتسعت عيناها ، وهى تسأله فى غضب : - هل هاجمتموه جميعًا فى آن واحد ؟! ردّ الرجل ، بصوت أكثر ارتجافًا : - للأسف يا سنيورا . للأسف .. قالت فى عصبية :

- للأسف ؟! ولماذا الأسف يا رجل .

لهث (دونيو) على نحو عجيب ، وهو يجيب : - لقد هزمنا جميعًا يا سنيورا .. هزمنا ولاذ بالفرار .

الكلمة الأخيرة بالذات ، فجرت كل غضبها وعنفها وتورتها ، وجعلتها تصرخ كالمجنونة :

- الفرار ؟! هل نجح (أدهم صبرى) في الفرار منكم جميعًا أيها الأغبياء ؟! هل هزمكم أيها الحمقى ؟! رجل واحد يدحركم جميعًا ، على هذا النحو ؟!

بدا وكأن (دونيو) يتحدّث في صعوبة ، وهو يقول :

- إنه ليس رجلاً عادياً يا سنيورا .. إنه شيطان . كانت تدرك تماماً أن الرجل على حق ، وأن (أدهم صبرى) ليس أبدًا بالرجل العادى ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صرخت في غضب :

٢ ـ الموت مرة أخرى ..

بحركة غريزية ، لم تكد (منى) تلمح الهليوكوبتر ، وهى تنقض عليها ، حتى انحرفت بالسيارة إلى اليسار ، ثم إلى اليمين ، وتفادت تلك الرصاصات المنهمرة كالمطر ، والتى لم تنجح سوى فى إصابة جانب السيارة فحسب ..

وبكل غضب الدنيا، هتف (أندروفيتشي) في الطيار:

- أيها الغبى .. كيف أخطأتهم ؟!

اتعقد حاجباً الطيار في غضب ، في حين تنحنح المفتش (أورتيجا) ، قائلاً :

- رویدك یا سنیور (أندروفیتشی) .. هذا الرجل أبرع طیارینا .

قال (أندروفيتشى) في صرامة :

_ لا عجب إذن في أتكم فاشلون .

التفت إليه الطيار في حركة حادة ، في نفس الوقت ، الذي هتف فيه (أورتيجا) مستنكرا:

الهليوكوبتر ، التابعة للشرطة ، والمزودة بمدفعين البين ، ولقد وصلت الهليوكوبتر بسرعة مدهشة ، فاستقلها سنيور (أندروفيتشى) مع المفتش (أورتيجا)، وانطلقا بها خلف ذلك المصرى ، في حين طلب سنيور (لاماس) من باقي الرجال تأمين مداخل ومخارج المدينة ، بما فيها (كوهيدور بيليجرو) أيضًا .

هتفت في انفعال :

- عظيم .. عظيم .

وأنهت المحادثة على نحو مباغت ، ثم طلبت رقم الهاتف المحمول للروسى ، ولم تكد تسمع صوته ، حتى سألته في لهفة :

- (یوری) .. هل تطارد (أدهم) بالقعل ؟! أجابها الروسى في صرامة :

- خطأ .. إننى أنسفه يا سنيورا .

ومع عبارته ، سمعت عبر هاتفها دوی رصاصات مدفعی الهلیوکوبتر ..

ثم أعقبه دوى أكثر عنفًا ..

دوی اتفجار

* * *

- غبی !

صاح به الطيّار في غضب :

- لماذا لا ترينا مهارتك أيها العبقرى ؟

لم یکد یتم عبارته ، حتی دفعه (أندروفیتشی) جانبا ، وهو یقول فی صرامة :

- أشكرك على هذا العرض الكريم أيها الفاشل . صرخ (أورتيجا) فى ذهول ، عندما شاهد (أندروفيتشى) ينتزع حزام المقعد :

_ ماذا تفعل يا سنيور ؟!

أما الطيار ، فقد اختل توازنه ، واتسعت عيناه في رعب ، ولوح بدراعيه في الهواء محاولاً التشبت بأي شيء ، ولكن (أندروفيتشيي) ركله في معدته ، ليلقيه خارج الهليوكوبتر ، وهو يحتل مقعده ، ويلتقط عصا القيادة ، للمحافظة على توازن الطائرة ، غير مبال بالصرخة الرهية ، التي أطلقها الطيار ، وهو يهوى أرضا ، في حين اتسعت عينا (أورتيجا) في ذعر ، وهو يصرخ :

- ماذا فعلت يا سنيور ؟! لقد قتلت الرجل !! أحكم (أندروفيتشى) حزام مقعده ، وهو يسيطر على الهليوكوبتر ، قائلاً في صرامة : - ماذا تقول يا سنيور ؟!

فى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها هتافه ، كان الطيار ينقض مرة أخرى على السيارة (البورش) ، و (أدهم) يقول له (منى) فى حزم ، ويصره يتابع حركة الهليوكوبتر ، ثانية بثانية :

- واصلى الانطالق إلى الأمام .. اتجهى نحوهم مياشرة .

هتف (قدری) مذعورا:

- إنك تلقى بنا بين فكيهم .

تجاهله (أدهم) تمامًا ؛ وهو يتابع الهليوكوبتر بنظرة خبيرة ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة :

- إلى اليسار يا (منى) .

ومع أول حرف من هتافه ، اتحرفت هي بالسيارة بالقعل ..

وفى نفس اللحظة بالضبط، انطلقت رصاصات الهليوكوبتر ..

وطاشت كلها بلا استثناء ...

واتعقد حاجبا (أندروفيتشى) حتى آخرهما ، وهـو يهتف بالطيّار :

- أخبرهم أنه قد نقى مصرعه فى أثناء الخدمة ، وستحصل أسرته على معاش بطل ، يفوق راتبه مرتين على الأقل .

حدِّق (أورتيجا) فيه بذهول ، وخُيِّل إليه أنه يبرى الشيطان نفسه ، في حين لم يبال به الروسي مطلقًا ، وهو يدور بالهليوكوبتر ، وينقض بها مرة أخرى على (البورش) الحمراء ..

والطلق رنين هاتفه المحمون ، في تلك اللحظة بالتحديد ، فالتقطه من جيب سترته في سرعة ، وهو يصوب المدفعين إلى (البورش) ، وسمع السنيورا تتحدّث إليه ، وتسأله عما إذا كان يطارد (أدهم) ، فأجابها في حزم :

- خطأ .. إننى أنسفه يا سنيورا .

نطقها ، وضغط زر الإطلاق ، في قمة عصا القيادة ..

وانطلقت الرصاصات ، و ... ودوى الانقجار ..

* * *

التقى حاجبا مدير المخابرات المصرية فى توتر ، وهو يطالع الرسالة الشفرية ، التى وصلت على التو ،

عَبْر البريد الإليكتروني (*) ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه الى رجاله ، الذين بلغ منهم التعب مبلغًا ، وقال :

- يبدو أن (ن - ١) مازال يصر على إشعال الموقف ، في كل مكان يتواجد فيه .

جذبت العبارة انتباههم ، فاعتدلوا في مقاعدهم ، وتلاشت رغبة النوم من عقولهم ، وهم يتطلعون إليه في لهفة وانتباه ، وهو يلوّح بالورقة في يده ، متابعًا في غضب :

- لقد أبى إلا أن يصبح جزءًا من المهرجان السنوى في (ريو دى جاتيرو) ، فاشتبك مع رجال السنيورا ، وهم يطاردونه الآن بطائرة هليوكوبتر ، في اتجاه شاطئ المحيط.

سأله أحد الرجال في اهتمام قلق : - ومن أين أتوا بالهليوكوبتر ؟! أشار إليه المدير ، قائلاً :

^(*) البريد الإليكترونى: (E -- Mail): وسيلة حديثة لنقل الرسائل، والتخاطب أيضًا، عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، يتم بوساطته نقل الرسائل بسرعة الأحاديث الهاتفية، عبر أجهزة (المودم)، التي توجد داخل أو خارج أجهزة الكمبيوتر، وهي تستخدم عناوين خاصة بها.

- سؤال ذكى يا رجل ، وإجابته تشف عن مدى قوة السنيورا ، وتوغلها فى الجهاز الأمنى البرازيلى ، فالهليوكوبتر التى تطارد (أدهم) و (منى) و (قدرى) ، تحمل شعار الشرطة .

التقى حاجبا صاحب السؤال فى توتر ، فى حين تبادل الآخرون نظرة عصبية ، قبل أن يقول أحدهم : - رباه ! من الواضح أن سيادة العميد (أدهم) ورفاقه فى وضع دقيق للغاية .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وقال في حنق :

الموقف كله دقيق للغاية ، فالوقت يمضى في
سرعة ، والسنيورا تواصل السعى لإنتاج قنابلها
الذرية ، ولا شيء يوقفها عن المضى في هذا الأمر ،
مما يعنى أنه لم يعد أمامنا سوى يومين وبضع
ساعات ، قبل أن تفسل المهمة كلها ، وعلى الرغم
من هذا ، ف (ن - ١) يقضى وقته في صراعات
مما يزيد الأمر تعقيدًا وصعوبة .

تمتم أحد الرجال :

- هذا هو (أدهم صيرى) الذي تعرفه .

التفت إليه المدير في حدة ، مكررًا :

- نعم يا رجل .. هذا هو (أدهم صبرى) الذي نعرفه .. رجل المخابرات الوحيد ، الذي يقاتل بوجه عار ، في العالم أجمع ، والذي فاقت شهرته الآفاق ، حتى صار أقرب إلى نجوم السينما العالميين ، منه إلى رجل المخابرات .

قال رجل آخر في حذر :

- ولكنه يحقِّق اتتصارات مدهشة دائمًا يا سيدى . قال المدير في غضب :

- هذا النوع من الانتصارات العلنية ، لا يناسب طبيعة عملنا يا رجل .. هل نسيتم القاعدة الأولى فى أعمال المخابرات .. لو انتصرنا فلا أحد سيعلم بهذا ، أمًا لو فشلنا فهى فضيحة .

أجابه رجل ثالث في سرعة:

- نحن نؤمن جيدًا بهذه القاعدة يا سيادة المدير ، ولكن الجميع لا يلتزمون بها بالقدر نفسه . الإسرائيليون مثلاً يعلنون دائمًا عن عملياتهم الناجحة ، بل وينسبون إلى أنفسهم أحيانًا ما يفوق قدراتهم الفعلية ، حتى لقد تصور العديدون ، في (أوروبا)

و (أمريكا) أن (الموساد) هو أفضل وأقوى جهاز مخابرات، في العالم أجمع، فلماذا لا نفعل نحن القليل من هذا ؟

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، قبل أن يتنهد ، قائلاً :

' - اطمئن يا رجل .. (ن - ١) يقوم بهذه المهمة خير قيام .

ثم ضرب سطح المائدة براحته ، مضيفًا في حزم :

- ولكن السؤال هنا هو : هل سينجح هذا الأسلوب المستفز باستمرار ؟! وهل سينجح (ن - ١) في هذه المهمة أيضًا ؟!

واعتدل في مجلسه ، وصوته يكتسب المزيد من الحزم والصرامة ، مستطردًا :

- صدقونى أيها السادة .. هذا أخطر موقف نواجهه ، منذ فترة طويلة ، والمشكلة أنها ليست معركة مباشرة ، مع أحد أجهزة المخابرات المعروفة ، وإتما سان غامض ، مع امرأة مصابة بجنون السلطة ، وتمتلك قوة هائلة ، ودعم مالى لا ينقطع ، ولديها القدرة ، في الوقت ذاته ، على إنتاج مخزون مخيف

من القنابل الذرية ، التي يمكنها بوساطتها السنيطرة على العالم أجمع ، والشخص الوحيد ، في الكون كله ، الذي يمكنه التعامل معها ، هو (أدهم) ، وهذا يعني أن المسئولية الملقاة على عاتقه رهيبة للغاية .

وصمت لحظة ، ثم تابع في قوة :

- وأن مصرعه ، قبل انتهاء المهمة ، قد يعنى أن العالم سيشهد كارثة رهيبة نووية ، لم يشهد مثلها ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وعندما انتهى من عبارته الأخيرة ، كان النوم قد طار إلى الأبد من عقول الرجال ، وحلَ محلّه شعور مخيف . .

وعنف ..

* * *

من المؤكد أن (منى) ، على الرغم من إصابتها ، التى لم تشف بعد ، ما زالبت واحدة من أعضاء المخابرات المصرية ، الذين تلقوا أفضل تدريبات ممكنة ، للعمل في قسم العمليات الخارجية ، وأنها مازالت تمتلك تلك المهارات التقنية ، التي يمتلكها كل العاملين في هذا المجال ..

ثم إن (أدهم) كان يراقب الهليوكوبتر، بكل اهتمامه وانتباهه، و ...

وخبرته ..

لذا ، فقد الحرفت (منى) بالسيارة ، فى نفس اللحظة تقريبًا ، التى أطلق فيها (أندروفيتشى) رصاصات الهليوكوبتر ..

وارتطمت الرصاصات كلها بسيارة أخرى ، تقف الى جانب الطريق ..

فدوى الانفجار ..

الفجرت تلك السيارة الأخرى ، في عنف ، وتطايرت أجزاؤها في كل صوب .

ولكن هذا لا يعنى أن سيارة (أدهم) ورفاقه قد جت ..

فمع انفجار السيارة الأخرى ، تطاير الوقود المشتعل من خزاتها ، وتناثر في مساحة واسعة للغاية ، وسقط على الثلث الخلفي كله من السيارة (البورش) ... ولأن محرك (البورش) خلفي وليس أمامي (*) ،

فقد امتدَّت إليه تلك النيران في سرعة خرافية ، و ... واشتعل ..

وفي ذعر شديد ، هتف (قدري) :

- رباه !! النيران !! السيارة تحترق !

توترت (منى) فى شدة ، ولكن (أدهم) صاح بها ، مشيرًا إلى الأمام :

- إلى المحيط مباشرة ..

ضغطت دو اسة الوقود بكل قوته ، وكأنها ترغب في زيادة سرعة السيارة ، التي بلغت حدها الأقصى بالفعل ، وهي تنطلق نحو ذلك الحاجز ، الذي يفصل الشاطئ عن الطريق ..

وفى الهليوكوبتر ، هتف المفتش (أورتيجا) فى عصبية :

- لقد اخطأته أيضًا .

صاح به (أندروفيتشى)، وهو يدور بالهليوكوبتر:

الصمت يا رجل، وإلا ألحقتك بذلك الطيّار الثرثار.
عقد (أورتيجا) حاجبيه في غضب، ولكنه لاذ
بالصمت، وترك الروسى ينطلق بالهليوكوبتر، مطاردًا
(اليورش)، التي الدفعت بأقصى سرعتها نحو الشاطئ...

^(*) معظم السيارات الرياضية ، التي تنتجها شركة (بورش) الألمانية ، ذات محركات خلفية ، لضمان زيادة الدفع والسرعة .

- الوداع يا (أدهم) .. الـ ...

وقبل أن يتم عبارته ، اتسعت عيناه في ذهول ، وتجمّد إبهامه فوق زر الإطلاق ، في حين شهق (أورتيجا) ، هاتفًا :

_ يا للشيطان !

فأمام عيونهما ، وبينما السيارة الحمراء تطير فى الهواء ، نحو مياه المحيط ، قفز منها (أدهم صبرى) .. كانت وثبته مدهشة خطيرة ، بدا فيها أشبه بطائر أسطورى يشق هواء الليل ، أو بأحد أبطال الروايات الخيالية ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر ، ويتعلق بإطارها السفلى .. واختل توازن الهيلوكوبتر ، مع بإطارها المباغتة في الوزن ، فمالت في عنف ، قي نفس اللحظة التي هوت فيها (البورش) الحمراء في المحيط ..

ومع ارتطام السيارة بالمياه ، صرخ (أندروفيتشى): - مستحيل ! مستحيل !

لم تكن صرخته قد اكتملت بعد ، عندما دفع (أدهم) جسده إلى أعلى ، في مرونة مذهلة ، ووثب داخل الهليوكوبتر ، وهو يقول في سخرية : وفى مهارة تستحق التقدير ، تجاوز (أندروفيتشى) السيارة بالهليوكوبتر ، ثم دار حول نفسه فى براعة مدهشة ، ليواجهها مرة أخرى ، وإبهامه يستعد لضغط زر الإطلاق ، وهو يقول فى توتر :

- هيا يا (أدهم صبرى) .. فلنر من منا يفوز ، في هذه المواجهة الأخيرة ..

وفي السيارة ، هتفت (مني) :

- سيطلق النار مرة أخرى .

تعلق بصر (أدهم) بالهليوكوبتر، التى انخفض بها (أندروفيتشي)، إلى ما يقارب سطح الماء، ليضمن دقة الإصابة، وهتف في صرامة:

- واصلى طريقك .. نحو المحيط مباشرة ..

قالها ، وهو يفتح الباب المجاور له ، فصاحت به : - ماذا ستفعل ؟!

صاح بكل صرامته وقوته:

- واصلى الانطلاق .

اتعقد حاجباها في شدة ، وهي تنطلق نحو حاجز الأسلاك ، وارتطمت به في عنف ، فقفزت السيارة في مشهدمهيب ،نحو المحيطمباشرة ،وصرخ (أندروفيتشي):

- مرحى أيها الأوغاد .. تُرى هل أزعجكما حضورى المباغت ؟!

النتزع (أورتيجا) مسدسه في سرعة ، هاتفا: -

ولكن قدم (أدهم) أطاحت بمسدسه، بضربة قوية مباشرة، فتراجع صارخا:

.. ¥., ¥_

أما (أندروفيتشي)، فقد ضغط زر القيادة الآلية، ثم انقض على (أدهم)، هاتفًا:

- فليكن أيها المصرى .. أثا أيضًا أفضًل الاشتباك المباشر .

استدار إليه (أدهم)، قائلاً:

- عظيم .. هذا يضاعف المتعة بالتأكيد .

اتسعت عينا (أورتيجا) في شدة ، وهو يحدق في ذلك القتال القوى العنيف ، الذي نشب داخل تلك المساحة المحدودة الضيقة ، داخل الهليوكوبتر .

وكان من الواضح أنه لا يشاهد قتالاً عادياً ، بين مقاتلين محترفين فحسب ..

بل كان يشاهد شيئا لم يشاهد مثله ، في حياته كلها ..

كان يشاهد معركة ، على أعلى مستوى من القوة والبراعة والفن والإتقان ..

وبينما راح جسده يرتجف ، في ذعر ذاهل ، كانت (البورش) تغوص وتغوص في مياه المحيط ، و (قدري) يكتم أنفاسه ، ويجاهد بذراعيه ، محاولاً الخروج منها ، في حين حلّت (مني) حزام مقعدها ، ودفعت الباب المجاور لها يقدميها ، ثم سبحت إلى الخلف ، وحلّت حزام مقعد (قدري) وراحت تدفعه إلى مقدّمة السيارة بكل قوتها ..

بدانته المفرطة كانت عانقا شديدًا أمام دفعه إلى المقدّمة ، بالإضافة إلى حالة الذعر التى أصابته ، وهو يضرب الماء بذراعيه ، ويجاهد للخروج من السيارة ، على نحو عشوائى مضطرب ..

ولكن الأمر نجح في النهاية ..

وبوسيلة أخرى ..

فمن العيوب الرئيسية لتلك الطرازات الحديثة من (البورش)، أن مقعدها الخلفي صغير للغاية، حتى أن جسد (قدري) كان محشورًا داخله بشدة ...
لـذا، فقد حطمت (منى) المقعد الأمامي، لتدفع

(قدرى) خارج السيارة ، التي استقرات على القاع ، مما منحها حرية أكثر في الحركة ..

وعلى الرغم من خروجه من السيارة ، كان (قدرى) يواصل ضرب الماء بقدميه وذراعيه ، في عصبية شديدة ، ضاعفها ذلك الضيق ، الذي يشعر به في صدره ، وأنفاسه تتلاشي شيئًا فشيئًا ، لذا فقد أمسكت (مني) ياقته بكل قوتها ، وحمدت الله أمسكت (مني) ياقته بكل قوتها ، وحمدت الله الماء ، من أسفل إلى أعلى ، كلما زاد حجم الجسم (*) ، في رفعه إلى السطح ، التي لم تسترد فلولا هذا لما نجحت ذراعها الضعيفة ، التي لم تسترد قوتها بعد ، في رفعه إلى السطح ..

وعندما بلغا سطح الماء ، شهق (قدرى) في قوة ، ليملأ جسده بأكبر قدر من الهواء ، وهو يهتف : - حمدًا لله .. حمدًا لله .

كان أزير الهليوكوبتر قويًا عنيفًا فوق رأسيهما ، فرفعت (منى) عينيها إلى أعلى ، ووقع بصرها على (أدهم) ، الذي اشتبك في قتال عنيف مع (أندروفيتشي) داخلها ، فخفق قلبها في عنف ، وغمغمت :

لم تكد تتم قولها ، حتى تناهى إلى مسامعها هدير محرك زورق آلى يقترب ، فالتقت إلى مصدر الصوت في توتر زائد ، وتبعها (قدرى) ، وهو يقول في عصبية :

ـ رباه ؟! عدو هذا أم صديق ؟!

ضاعفت عبارته من توتر (منى) ، وهى تراقب ذلك الزورق ، الذى اقترب بسرعة مدهشة ، وتنقل بصرها بين الحين والآخر ، إلى تلك المعركة العنيفة داخل الهليوكوبتر ، التى راح الطيار الآلى يقودها فى دائرة محدودة ..

ثم يلغهما الزورق الآلى ..

واتسعت عيونهما في دهشة بالغة ..

فالشخص الذي يقود ذلك النزورق الآلى ، لم يكن سوى العملاق الأسود ، الذي هاجم الروسى ورجاله ، في ذلك الشارع الجانبي ، منذ دقائق قليلة ..

وعندما مد العملاق الأسود يده ، ليساعدهما على الصعود إلى الزورق ، هتفت به (منى) : __ إذن فهو أنت .

قالتها بالإنجليزية ، فتطلّع إليها الرجل في حيرة"،

^(*) حقيقة علمية .



ثم جذبها إلى داخل الزورق ، والتفت إلى (قدرى) ، يجذبه في عقوة مدهشة ، جعلت (قدرى) يهتف: _رباه ! . .

على نحو يوحى بأنه لم يفهم حرفًا واحدًا مما قالته ، ثم جذبها إلى داخل الزورق ، والتفت إلى (قدرى) ، يجذبه في قوة مدهشة ، جعلت (قدرى) يهتف :

- رباه! كل من التقيت بهم هنا ، يوحون إلى بأن وزنى قد نقص خمسين كيلوجرامًا على الأقل .

ثم حدَّق فى الحقيبتين ، اللتين تحتلان مؤخرة الزورق ، قبل أن يستطرد فى دهشة بالغة :

- إنها .. إنهما حقيبتانا !! كيف استعدتهما يارجل ؟!

بدت الحيرة في عينى العملاق الأسود ، الذي لم يلبث أن رفع عينيه في بطء ، يتطلَّع إلى تلك المعركة فوق رءوسهم ، ثم أدار محرك النزورق ، لينطلق به مبتعدًا ، فهتفت به (منى) في ذعر :

- وماذا عن (أدهم) ؟

لم يفهم الزنجى منها سوى اسم (أدهم) ، فتألفت عيناه بشدة ، ورفع إيهامه ، قائلاً بالبرتغالية :

- سنيور (أدهم) أومو بيليجروسو .

ثم انطلق بالزورق ، و (منى) تهتف :

- يا إلهي ! (أدهم) .. (أدهم) .

ولكن الزورق لم يتوقف ، وإنما واصل الانطلاق ، حتى ابتلعه ظلام الليل ..

وفى نفس الوقت ، كان (أدهم) يتفادى لكمة قوية من (أندروفيتشى) ، وهو يقول :

- الواقع أنكم تتمتعون بلياقة مدهشة ، يا رجال المخابرات السوفيتية .

تراجع (أندروفيتشى) بنصف العلوى في خفة ، ليركل (أدهم) في صدره ، قائلاً :

- هذا ينطبق عليكم أيضًا أيها المصريون .

لم يستطع (أدهم) تفادى الضربة ، لضيق المكان ، ولكنه حافظ على توازنه ، على الرغم من عنفها ، ثم دفع جسده إلى الأمام ، ليلكم الروسى فى صدره وفكه بكل قوته ، قائلاً :

- السؤال هنا إذن هو : أية لياقة يمكن أن تتفوي ، في قتال كهذا .

دفعت اللكمتان (أندروفيتشي) إلى الخلف في عنف، فارتطم بالمفتش (أورتيجا)، وكاد يسقط من الباب الآخر للهليوكوبتر، لولا أن تشبّت بحاجزه، و (أورتيجا) يصرخ:

- لا .. لا .. ابتعدا عنى .

اتعقد حاجبا الروسى فى غضب ، وهم بالاعتدال مرة أخرى ، ولكن قدمه ارتطمت ، فى تلك اللحظة بالذات ، بمسدس (أورتيجا) ، الذى أسقطه (أدهم) أرضًا ، فانتنى يلتقطه فى سرعة وخفة ، هاتفًا :

- اللياقة لن تحسم القتال يا سيد (أدهم) .

ثم اعتدل في سرعة البرق ، وهو يحمل المسدس ، مستطردًا :

_ ولكن الرصاصات ستحسمه .

نطقها ، وهو يضغط زناد المسدس بالفعل ، ويطلق رصاصاته كلها ..

نحو (أدهم) مباشرة ..

ولقد أصابت رصاصاته كلها الهدف ...

أصابت صدر (أدهم) ، واقتلعته من مكانه ، ودفعته خارج الهليوكوبتر ، ليهوى منها إلى مياه المحيط الباردة ، ويغوص فيها إلى الأعماق ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولثوان ، لم ينطق (أتدروفيتشى) أو (أورتيجا) حرفًا واحدًا ..

كلاهما راح يحدق ذاهلا في باب الهليوكوبتر ، الذي سقط منه (أدهم) ، وكأنما لا يصدقان ما حدث ..

ثم هتف (أورتيجا) أولا ، في انفعال جارف : - يا للشيطان ! لقد .. لقد فعلتها يا رجل .. لقد

حدًق (أندروفيتشى) فى فوهة المسدس، التى يتصاعد منها الدخان، ثم عاد يتطلع إلى باب الهليوكوبتر، ثم إلى مياه المحيط، التى اختفى فيها (أدهم) تمامًا، قبل أن تتألق عيناه، ويقول فى ظفر واضح:

- نعم .. لقد قتلته ..

وكرر في اتفعال ظافر عنيف :

- أنا .. (يورى أندروفيتشى) ، قتلت أسطورة عالم المخابرات .. قتلت (أدهم صبرى) ..

نطقها ، واتتابت موجة عجيبة من الضحك ، ترددت في المنطقة كلها طويلاً ..

وكان هذا أمرًا طبيعيًا بالتأكيد ..

إنه الرجل الذي قتل (أدهم صبري) .. الأسطورة ..

* * *

- 174

« فَتَلَتُه ؟! أَأْنَتُ وَاثْقَ يَا (يُورِي) ؟! أَأْنَتُ وَاثْقَ من هذا ؟! »

هتفت السنيورا بالعبارة ، عبر هاتفها الخاص ، وجسدها كله يرتجف اتفعالاً ، فأجابها (أندروفيتشى) في زهو واضح :

- نعم یا سنیورا .. هذه المرة لا یراودنی أدنی شك .. لقد قتلته .. أنا الرجل الذی قتل (أدهم صبری) .. سألته بكل اللهفة ، التی تسری فی عروقها : - كیف یا (یوری) ؟! كیف ؟!

أجابها بكل الفخر :

- بالرصاص يا سنيورا .

اتسعت عيناها في شدة ، وهي تقول :

_ بالرصاص ؟!

أجاب مؤكدًا:

- نعم يا سنيورا . . أطلقت ست رصاصات على صدره مباشرة ، من مسافة تقل عن المتر .

ردّدت مرة أخرى :

_ بالرصاص ؟!

نطقتها هذه المرة محملة بكل الدهشة والاستنكار والإحباط، وكأنما لم تكن تتصور قط أن نهاية رجل

VF

مثل (أدهم صبرى) ، ستأتى على هذا النحو!.. ست رصاصات ، في الصدر مباشرة ..

يالها من وسيلة تافهة ، لمصرع بطل أسطورى مثله !! وفى غمرة زهوه وفخره ، وشعوره بالظفر والنصر ، التقط (أندروفيتشى) تلك الرنة في صوتها ، فعقد حاجبيه ، قائلاً في صرامة :

- ألا يروق لك هذا يا سنيورا ؟!

سرت في جسدها ارتجافة خفيفة ، مع قوله هذا ، انتزعتها من شرودها ، فاعتدلت في وقفتها ، وقالت في عصبية :

- اتعشم أن تكون قد احتفظت بجثته هذه المرة . هتف مستثكرًا :

- جثته ؟! أى هوس هذا يا سنيورا ، الذى يدفعك دومًا إلى لهفة مشاهدة جثة ذلك الرجل ؟! لقد قتلته هذه المرة .. قتلته بكل ثقة ، فلماذا تصرين على الحصول على جثته ؟! هل ستقومين بتحنيطها ، ووضعها في متحف خاص كممياوات الفراعنة ؟! أجابته في صرامة :

- تحنيط جثة (أدهم صبرى) فكرة لا بأس بها

يا (يورى)، فهى الضمان الوحيد لمصرعه على الأقل . ثم أضافت في صرامة شرسة :

_ والآن أخبرنى دون سخرية أو مواربة .. هل احتفظت بجثته ؟!

فجرت عبارتها غضبًا عنيفًا في أعماقه ، وأحنقه أن تفسد شعوره بالانتصار ، بهذا الإصرار السخيف ، فاستعان ببروده الثلجي ، في محاولة لإخفاء انفعاله ، وهو يجيب :

_ لا توجد جثة .

هتفت مستنكرة في شدة :

_ لا توجد جثة ؟! لا تقل لى : إن ست رصاصات عادية قد نسفت الرجل ، حتى لم تعد له بقايا .

أجابها ، محتفظًا ببروده في صعوبة :

_ كلاً يا سنيورا .. كلانا يعلم أن هذا لا يمكن أن يحدث ، ولكن هذه الرصاصات الست كانت كافية ، لتغوص بجثته إلى أعماق المحيط .

انتفض جسدها كله في عنف أكثر ، وهي تقول : - أتعنى أنك لم تر جثته بعينيك ؟! أجاب ، في شيء من التوتر هذه المرة : ـ لن أنتظر حتى الصباح يا (يورى) . لم يعد باستطاعته التحكم في أعصابه أكثر من هذا ، فصاح بها :

- حاولى تقدير الأمر أكثر يا سنيورا .. إنه المهرجان السنوى ، والمدينة كلها غارقة فيه حتى النخاع .. الجميع يرقصون ويغنون في الشوارع والطرقات ، ولا يوجد موضع لقدم ، و (أورتيجا) لن يجد ضفدعًا بشريًا واحدًا للقيام بهذه المهمة الآن .. بل ولن يمكننا حتى استئجار من يقوم بالمهمة لحسابنا . كررت في عصبية بالغة :

- لن يمكنني الانتظار حتى الصباح .

أطلق زفرة قوية حارة طويلة ، قبل أن يقول في صرامة :

- أظن أتك مضطرة لتدريب نفسك على الانتظار يا سنيورا، ما دمت تصرين على التصرف بهذا الأسلوب، الذي يبدو لي أشبه بالفوييا(*) .. (فوييا أدهم صبرى). - سنيورا .. لقد أطلقت النار على (أدهم صبرى) هذا داخل هليوكوبتر تحلّق فوق المحيط ، ورأيت الرصاصات كلها تخترق صدره ، وتنتزعه من مكانه ، لتلقى به في المحيط ، فما الذي تتوقعينه .

قالت في عصبية بالغة :

- كل شىء يمكن توقعه ، مع رجل مثل (أدهم صبرى) . صاح فى حدة :

- إنها ست رصاصات يا سنيورا .

صاحت به في غضب :

- حتى ، ولو كاتت قتبلة ذرية .

لاذ بالصمت ، على الرغم من تورته ، فتابعت فى صرامة غاضبة :

- اسمعنی جیدا یا (یوری) .. مر (اورتیجا) بالبحث عن جید (ادهم) فی المحیط.

قال في حنق :

- (أورتيجا) سيفعل هذا في الصباح بالفعل ، وسيرسل فريقًا من الضفادع البسرية للبحث عن الجثة ، و ...

قاطعته في حدة :

^(*) الفوبيا (Phobia) : هلع مرضى من شيء محدود ، أو طائفة من الأشياء المعيدة ، مثل الهلع من الأساكن المغلقة (كلوستو فوبيا) ، أو الخوف من الزحام (كلودو فوبيا) ، وغيرها ..

قالها ، وأنهى المحادثة في عنف ، فاحتقن وجهها في شدة ، واتعقد حاجباها في قوة ، والتقطت علبة سـجائرها في عصبية شـديدة ، وأشـعلت إحداها بقد احتها الذهبية ، وراحت تنفث دخانها ، وهي تتحرك في الحجرة كالمحمومة .

لا أحد يمكنه استيعاب مخاوفها أو أفكارها ..

لا أحد يدرك خطورة وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ..

لا أحد يفهم مدى ما يمثله من خطر ، على خطتها الكبرى ، ومشروعها النووى الضخم ..

لقد بذلت جهدا خرافيا ، لاقتاع مموليها بالإنفاق على على هذا المشروع الهائل ، ووعدتهم بالحصول على مكاسب لم يحصل عليها سواهم ، عبر التاريخ كله ..

وعدتهم بالسيطرة على اقتصاد العالم كله ..

وكل شيء كان يسير على ما يرام ..

المفاعل النووى تم بناؤه ، في أفضل منطقة ممكنة ..

الماء الثقيل ، والبلوتونيوم المخصب ، وكل المواد اللازمة لانتاج القتبلة ، بذل رجالها جهدًا رهيبًا ؛

للحصول عليها ، من كل مكان في العالم ، وبأى ثمن كان ..

حتى العلماء ، أحضرتهم من ثلاث قارات مختلفة ، وقاتلت في سبيل تكوين فريقها العلمي النووى ، كما لم يحدث من قبل ..

وطبقًا لكل التقارير ، لم يعد أمامها سوى يومين وبضع ساعات ، وتصبح لديها أول دفعة من القنابل الذرية ..

وأول خطوة عملية ، في خطة السيطرة على العالم ..

يومان وبضع ساعات ..

فقط يومان ويضع ساعات ..

تردد الرقم في رأسها طويلاً ، وهي تنفث دخان سيجارتها في عصبية ، ثم لم يلبث أن اتخذ صورة جديدة ..

يومان كاملان ، وبضع ساعات ..

يا له من زمن طويل !!

زمن يمكن أن يحدث فيه الكثير ..

والكثير جدًّا ..

وانعقد حاجباها في شدة ، وهي تنتفض في شدة ، وتهتف:

- لا .. لن يمكنني الانتظار كل هذا الوقت . ثم التقطت هاتفها الداخلي ، وقالت عبره في صرامة:

- هذا السنيورا .. أريد البروفيسير (استروتيسكى) في مكتبى على الفور .

أجابها الرجل ، على الجانب الآخر للخط:

- البروفيسير (استروتيسكي) أوى إلى فراشه يا سنبورا ، و

قاطعته في غضب:

- قلت لك : أريده في مكتبى على القور أيها الغبى .. الترعه من فراشه ، أو أخرجه حتى من دورة المياه ، المهم أن يأتي إلى هنا على الفور .. هل تفهم ؟! أجابها الرجل في خفوت :

- كما تأمرين يا سنيورا .. كما تأمرين .

ألقت سماعة الهاتف في حدة ، وألقت خلفها سيجارتها أرضًا ، قبل أن تكتمل ، وسحقتها بقدمها في قوة ، وكأتما تسحق معها كل توترها وغضبها

ومخاوفها ، ولكن العجيب أنها لم تكد ترفع قدمها عنها ، حتى التقطت من علبتها سيجارة أخرى طويلة ، أشعلتها في عصبية أكثر ، وراحت تنفث دخاتها في قوة ، لتملأبه هواء الحجرة ، قبل أن تتجه في خطوات واسعة سريعة إلى حجرة مكتبها ، لمقابلة البروفيسير (استروتيسكي)، وعقلها يدرس تلك التطورات الجديدة ، التي قررت إجراءها في خطتها ..

التطورات التى ستقلب الأمور كلها رأسا على عقب ، وستساعدها على بلوغها هدفها ، قبل الموعد

وهذا يعنى أن لحظة السيطرة على العالم ستأتى أسرع مما يتصور الجميع .. أسرع بكثير . * * *



٧ - ليلة بلا نماية ..

لم ينطلق ذلك الزورق البخارى ، فى قلب المحيط ، لأكثر من ربع الساعة فحسب ، ابتعد خلالها عن شاطئ (ريو دى جانيرو) ، ثم سار بمحاذاته لبعض الوقت ، قبل أن يندفع نحوه مرة أخرى ، بعيدًا عن المنطقة المأهولة ، ويواصل اندفاعه ، حتى وثبت مقدّمته فوق الرمال ، واستقر هناك ...

وفى توتر بالغ ، غمغم (قدرى):

- إلى أين أتى بنا هذا الرجل ؟!

أجابته (منى) فى حذر، وهى تتلفّت حولها، محاولة اختراق الظلام ببصرها:

- لست أدرى ، ولكن من الواضح أنه يسير وفقًا لخطة منظمة .

تلفّت (قدرى) حوله بدوره ، متمتمًا في قلق : - أتعشّم هذا .

قفز العملاق الأسود من الزورق ، في تلك اللحظة ،

وحمل الحقيبتين إلى الشاطئ، ثم أشار إليهما بالهبوط، وعندما أصبحا فوق الرمال، راح يجذب الزورق بقوته الخرافية، حتى أخفاه بين أشجار النخيل الطويلة، وغطاه في حرص، ثم أشار إليهما أن يتبعاه، وهو يحمل الحقيبتين على كتفيه، ويتجه نحو الأغصان المتشابكة، منتزعًا من حزامه سيفًا قصيرًا، راح يضرب به الأغصان، ويشق طريقه بينها في قه ق.

وسرت ارتجافه قوية فى جسد (قدرى) ، وهو يعرج على قدمه المصابة ، متبعًا العملاق الأسود ، وقال له (منى) فى عصبية :

- لست أشعر بالارتياح لهذا الأمريا (منى) .. إننا نتوغًل خلف هذا الرجل ، داخل الأدغال البرازيلية ، وقراءاتي تؤكد أن هذه الأدغال تضم آخر قبائل أكلة لحوم البشر ، في العالم كله ، وبالنسبة لقوم كهؤلاء ، سأصبح فريسة يسيل لها اللعاب .

على الرغم من توتر الموقف وصعوبته ، وجدت نفسها تبتسم لقوله ، وتقول :

_ لا تجعل هذا يقلقك يا (قدرى) .. الموسوعات

تقول: إن أكله لحوم البشر لا يفضلون اللحوم الدسمة ..

اتعقد حاجباه في عصبية ، وهتف :

- هل تعتقدين أن الموقف يحتمل المزاح ؟! تنهدت في عمق ، وقالت :

- كلايا (قدرى) .. الموقف لا يحتمل أى شيء بالفعل ، ولكنها كانت مجرد محاولة للتغلّب عنى خوفى وتوترى البالغين ، فصورة (أدهم) ، وهو يقاتل في شراسة ، داخل الهليوكوبتر ، لم تفارق ذهنى بعد ، وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه .

التفت إليها في دهشة ، وارتفع حاجباه في حنان ، وهو يقول :

- يا إلهى ! نحن في موقفنا هذا ، ولا يمكنك التفكير الا فيه ؟!

تنهدت مرة أخرى ، قائلة :

- ليس أمامى سوى هذا يا (قدرى) .. أنت تعلم ما يعنيه (أدهم) بالنسبة لى .. إنه القلب الذى أنبض به ، والهواء الذى أتنفسه ، و ...

قاطعها مقاومًا دموعه:

- كفى يا (منى) .. لن أحتمل هذا طويلاً . مسحت دموعها بدورها ، مغمغمة :

- احمه يا إلهى ! أرجوك .. لن يمكننى العيش دونه . تفجّرت دموعه أيضًا ، وهو يقول في مرارة : - وهل تتصورين أنه يمكنني هذا ؟! إنه الصديق

الوحيد لي ، في هذا العالم كله .

توقّف العملاق الأسود مع بكائهما ، والتفت إليهما متسائلاً ، وقال بضع كلمات بلغته البرتغالية ، وصوته الأجش ، فلوحت له (منى) بيدها ، قائلة بالعربية :

- لا عليك يا رجل .. لن يمكننا أن نشرح لك هذا .. هيا .. امض في طريقك .

تطلّع إليهما الرجل بضع لحظات فى حيرة ، ثم لم يلبث أن واصل عمله ، وتابع شق طريقه إلى قلب الأدغال ، وسارا هما خلفه فى صمت ، دام لبعض الوقت ، قبل أن يقول (قدرى) فى قلق :

_ ماذا لو أنه يقودنا إليهم بالفعل ؟

سالته (منى) في حيرة:

- إلى من ؟! أجاب في عصبية :

- أكلة لحوم البشر (*) .

والعجيب أن الفكرة لم تبد لها هذه المرة غريبة ، كما كانت من قبل ، إلا أنها القت نظرة سريعة على العملاق الأسود ، الذي تتبينه في صعوبة ، وسط الأحراش والظلام ، وهو يحمل الحقيبتين على إحدى كتفيه ، ويضرب الأغصان بالسيف الصغير في يده الأخرى ثم التفتت إلى (قدرى) ، قائلة :

- هذا الرجل أتقذنا من الروسى ورجاله يا (قدرى) وقاد إلينا الزورق ، الذي أشار إليه (أدهم) ، وكل ما فعله حتى الآن يؤكد أنه يعمل لصالحنا ، وبمعرفة (أدهم) ، فلماذا يقودنا إلى أكلة لحوم البشر ؟!

ألقى نظرة بدوره على العملاق ، ثم همس فى توتر : - وماذا لو أنه هو نفسه من أكلة لحوم البشر ؟! ضحكت على الرغم منها ، قائلة :

- إنه لن يبذل كل هذا الجهد ، ويحمل حقيبتينا لكل هذه المسافة ، لمجرّد أن ينعم بوجبة دسمة .

_ ليست مجرد وجبة دسمة ، بل سيحصل على مخزون من اللحم ، يكفيه لأسبوع كامل .

لم تستطع تمالك نفسها ، في هذه المرة أيضًا ، فأطنقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

_ من المؤكد أنك ستكون وجبة لذيذة الطعم يا عزيزى (قدرى) .

لم يستسغ دعابتها هذه المرة ، فمط شفتيه ، وقلبهما في امتعاض ، وهو يتخيّل نفسه داخل وعاء ضخم ، موضوع فوق نيران قوية ، وغمغم في استنكار واستهجان :

_ لذيذ الطعم ؟!

أما العملاق الأسود ، فقد التفت إليهما في دهشة ، مع ضحكة (منى) ، وتطلع إليهما لحظة ، وكأنما يحاول فهم طبيعتهما العجيبة ، التي تجعلهما يتنقلان بين البكاء والتوتر والضحك ، خلال دقائق معدودة ، إلا أنه لم يلبث أن هز كتفيه ، وعاد يواصل عمله ، طارحًا الأمر كله خلف ظهره ..

^(*) أكلة لحوم البشر (Cani Pals) : قباتل بدانية ، تعيش وسط أحراش (أمريكا) الجنوبية ، وهي قباتل مقاتلة ، تتغذي في الأغلب على لحوم حيوانات المنطقة ، ولكنهم لا يترددون في أكل أعدائهم (وخصوصنا أكبادهم) ، أو التهام أي غريب ، يمكن أن يقع في قبضتهم ، في ظروف عدائية أو قتائية .

مال العملاق نحوهما أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتضاعف التساؤل المطل من عينيه ، و ... وفجأة ، رفع (قدرى) رأسه ، قائلاً في توتر : ما هذا ؟!

سألته (منى) في قلق :

- ماذا حدث یا (قدری) ؟!

تلفت حوله مذعورًا ، وهو يقول :

- هناك وقع أقدام تقترب.

اتعقد حاجباها في شدة ، وهي تقول :

- وقع أقدام ؟!

ولم تكد ترهف سمعها ، حتى اتتبهت إلى حفيف الأوراق ، وحركة الأغصان ، التى تؤكد اقتراب عدة أشخاص منهم ..

ومن كل الاتجاهات ..

وبحركة حادة ، اعتدل العمالاق الأسود أيضًا ، وأمسك سيفه القصير في قوة ، في حين قال (قدري) مذعورًا :

- إنهم .. إنهم يحيطون بنا .. يحاصروننا . تلفتت حولها في توتر ، قائلة : ولدقائق أخرى ، واصلت القافلة الصغيرة سيرها ، وسط أدغال (البرازيل) ، حتى قال (قدرى) فى الم :

- لا .. لم يعد بوسعى الاستمرار .

قالها ، وهو يسمك فخذه المصاب في قوة ، ويشير بيده ، متابعًا :

- إننى لم أعد أشعر بفخذى قط.

أمسكت (منى) يده ، لتعاونه على الجلوس ، وهي تهتف بالعملاق :

- توقف يا رجل .. توقف .

التفت إليهما العملاق في اهتمام ، والتقى حاجباه في شدة ، عندما شاهد (قدرى) أرضًا ، وأطلّت من عينيه نظرة متسائلة ، فأشارت (منى) إلى الدماء ، التي تلوّت سروال (قدرى) ، وقالت :

- إنه مصاب ، ولم يعد باستطاعته مواصلة السير . اتعقد حاجبا العملاق أكثر ، وهـ و يحاول رؤية ما تشير إليه (منى) ، في قلـب الظـلام ، فهتـف (قدرى) في عصبية :

- إننى مصاب يا رجل .. ألا يمكنك رؤية هذا ؟!

- السؤال الفعلى هو .. من هم بالضبط ؟! لم تكد تتم سؤالها ، حتى برزت عدة وجوه حولهم ، من وسط الأحراش ..

وجوه بدائية مخيفة ، اصطبغت بطلاء الحرب .. وبكل ذعر الدنيا ، هتف (قدرى) :

_ أكلة لحوم البشر .

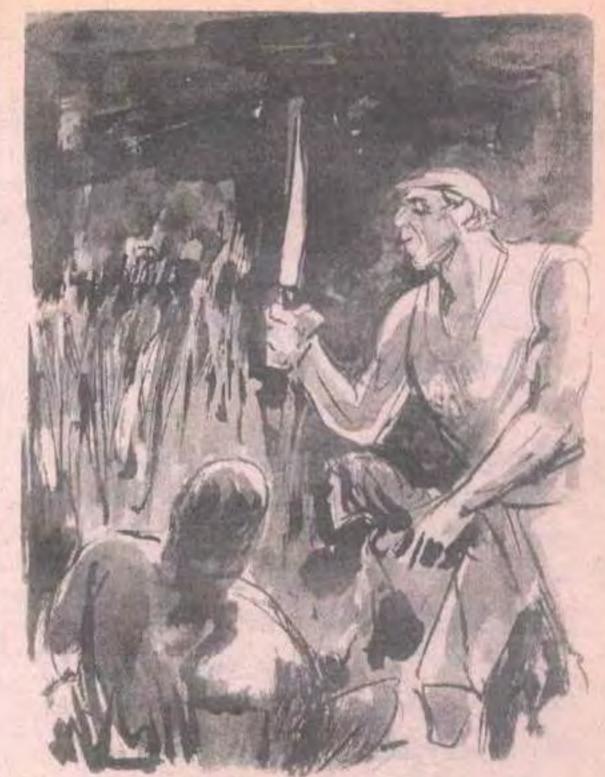
وترددت صيحته المذعورة في قوة وسط الأحراش .. ثم تلاشت في سرعة .. تلاشت تمامًا ..

* * *

« (كوادروس) استعاد وعيه أيها القائد .. » نطق (لاماس) العبارة في شيء من الارتياح ، فالتفت إليه (أندروفيتشي) في بطء ، وقال في اقتضاب :

_ عظيم .. متى يمكنه العودة للعمل ؟! أتاه صوت (كوادروس) نفسه ، وهو يقول : _ على الفور أيها القائد .

التفت إليه (أندروفيتشى) في هدوء، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، قائلا:



وبحركة حادة ، اعتدل العملاق الأسود أيضًا ، وأمسك سيفه القصير في قوة ، في حين قال (قدرى) مذعورًا : _ إنهم ! . .

- فترة طويلة تلك ، التى فقدت خلالها وعيك يا (كوادروس) . . هل كان الدرس قاسيا إلى هذا الحد ؟!

بدا الغضب على وجه (كوادروس) ، وهو يقول : ـ ذلك الرجل باغتنى أيها القائد ، ولولا هذا لما ... قاطعه (أندروفيتشى) بإشارة من يده ، قائلاً في صرامة :

ـ لا عليك يا (كوادروس) .. لست أول من يتلقى درساً قاسيًا ، من (أدهم صيرى) .

ابتسم (الماس) في خرية أيضًا ، فهتف (كوادروس) في عصبية ، هو يتحسّس الضمادات التي تغطى وجهه :

- إن أحدًا لم يفعل بي هذا من قبل قط أيها القائد .. لقد فأجأني الرجل ، ولم أستطع أن ..

قاطعه (لاماس) هذه المرة في سخرية لاذعة : - كفي يا (كوادروس) .. الأمر لا يستحق كل هذه التبريرات .

التفت إليه (كوادروس) في غضب ، هاتفًا : _ لست أحاول تبرير أي شيء يا (الاماس) ..

الرجل باغتنى بالفعل ، وعندما أواجهه فى المرة القادمة ، سوف ترى من منا سيلقن الآخر درسا قاسيًا .

اتسعت ابتسامة (لاماس) الساخرة ، وهو يقول : _ في المرة القادمة .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية طويلة ، احتقن لها وجه (كوادروس) ، فأطلق سبابًا بذينًا ، لم يرق له (أندرفيتشي) ، الذي قال في صرامة :

رالدرد المرحل لقى مصرعه يا (كوادروس) . الرجل لقى مصرعه يا (كوادروس) . التقت إليه (كوادروس) في حدة ، هاتفًا : _ لقى مصرعه ؟! كيف ؟! من قتله ؟! انتفخت أوداج (أندروفيتشى) وهو يقول : _ أنا . أنا قتلت (أدهم صبرى) .

هتف (كوادروس) :

- راتع .. هذا يستحق الاحتفال -

صباً (لاماس) لنفسه كأسا من الخمر ، وهو يقول في سخرية :

_ احتفال آخر ؟! ألا يكفيك هذا المهركان يا رجل ؟! قال (كوادروس) في حدة :

۱۹۳ رم ۱۳ - رجل المستحيل (۱۱۵) بلا رحمة] _ لا بأس أيها القائد .. لا بأس .. سيسعدهم هذا كثيرًا .

قالها ، واتدفع يغادر الحجرة ؛ لينقل الخبر إلى الرجال ، في حين غمغم (كوادروس) في عصبية :

_ أراهن أنه هو الذي يبحث عن المرح .

لوِّح (أتدروفيتشي) بيده ، قائلا :

- لا بأس .. دعه يحصل عليه .. لقد قتلنا الهدف واتتهى الأمر ، والجميع يمكنهم الحصول على مكافأة مناسبة .

انطلق رنين الهاتف في تلك اللحظة ، قالتقطه (كوادروس) بحركة تلقائية ، وهو يقول في خشونة وغلظة :

_ من المتحدّث ؟!

وصمت لحظة في اهتمام ، ثم ناول الهاتف للروسى ، قائلاً :

- إنه المفتش (أورتيجا)، يتحدَّث من استقبال الفندق، ويطلب الصعود لمقابلتك على الفور .. يقول: إن الأمر عاجل للغاية .

تطلّع (أندروفيتشى) إلى الهاتف ، ثم أشار بيده ، قائلاً : _ ليس هذا من شأتك .

هز (لاماس) كتفيه في لا مبالاة ، وارتشف رشفة من كأسه ، قائلا :

- بمناسبة المهرجان .. لماذا لا نسمح للرجال بالاحتفال أيها القائد .. لقد بذلوا جهدًا كبيرًا ، ومن حقهم أن ...

قاطعه (أندروفيتشى) في صرامة :

- ليس الآن .

سأله (لاماس) في بساطة :

- لماذا ؟! إنهم يجلسون بأسفل ، وليس لديهم ما يفعلونه ، في حين يحتفل كل شخص آخر في المدينة .. لماذا لا ينضمون إلى المحتفلين ، في قاعة الفندق على الأقل .. إنهم بحاجة إلى بعض المرح ، مادامت المهمة قد انتهت فعليًا .

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، وهو يتساءل في أعماقه عن السبب الفعلى ، الذي جعله يرفض احتفال الرجال ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

- فليكن ، ولكن مرهم ألا يبتعدوا كثيرًا .

ابتسم (لاماس) ابتسامة واسعة ، وقال :

_ دعه يصعد .

استعاد (كوادروس) الهاتف ، قائلاً بنفس الغلظة والخشوئة :

ـ إنه في انتظارك أيها المفتش .

لم تمض دقیقتان ، حتی کان المفتش (أورتیجا) یدلف إلی حجرة (أندروفیتشی) فی الفندق ، قائلا فی حدة :

۔ هل تدرك كم سببت لى من مشكلات يا سنيور (أندروفيتشى) ؟

تجاهل الروسى قوله ، وهو يشير إليه بالجلوس ، قائلاً في برود :

- تفضّل أيها المفتش .. أيهما تفضّل .. الويسكى م ...

قاطعه (أورتيجا) في حدة:

- مصرع الطيّار قلب الدنيا على رءوسنا ، وقائد الشرطة يطلب تقريرًا عاجلاً عن الموقف ، ورجال الأدلة الجنائية يتساءلون عن كيفية سقوط الرجل من الهليوكوبتر ، مع وجود حزام النجاة ، ومع كونه طيّارًا محترفًا ، عمل لأكثر من سبع سنوات ، فى القوات الجوية البرازيلية ..

قال (أندروفيتشي) في هدوء :

_ كل شيء يمكن حله .

هتف (أورتيجا):

- كيف ؟! الموقف مشتعل للغاية ، القائد ألغى إجازة المهرجان ، وطالب بالتحقيق في الأمر على الفور ، ورفع التقرير النهائي إليه ، قبل ظهر الغد .

وأطلق زفرة مشتعلة من أعماقه ، قبل أن يستطرد في عصبية بالغة :

_ يبدو أن هذه الليلة لن تنتهى أبدًا .

كرر (أندروفيتشى) فى برود ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

> - كل شيء يمكن حله أيها المفتش : لوَّح (أورتيجا) بذراعه كلها ، هاتفًا :

> > _ كيف ؟! كيف ؟

ارتسمت ابتسامة باردة على شفتى الروسى ، وهو بجيب :

- بالنقود .. الدولارات .. تلك الأوراق السحرية الخضراء ، التى تتغير لمرآها كل الحقائق ، ويتحول معها الأبيض إلى أسود ، والعكس بالعكس .

حذَق (أورتيجا) في وجهه بدهشة ، وقال : - سنيور (أندروفيتشي) .. هل تفكر في شيراء الجميع ؟!

هز (أندروفيتشى) كتفيه ، وقال :

- ولِمَ لا ؟! لكل شخص ثمنه ، وعندما تبدو سخيًا ، ينحنى أمامك الجميع .

قال (أورتيجا) في عصبية:

- لا يمكن أن ينطبق هذا على الجميع .. هناك من سيرقضون بيع أنفسهم حتما .

ابتسم (أندروفيتشى) في سخرية ، قائلاً :

- عندما لا يناسبهم الثمن فحسب يا رجل .

تراجع (أورتيجا)، وهز رأسه في شدة، وهو يقول:

- إنها ليست دائمًا مسألة ثمن يا سنيور (أتدروفيتشي) ، ولكن .

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتف (أندروفيتشى) المحمول ، فأشار إلى (أورتيجا) بالصمت ، وهو يلتقطه من جيبه في سرعة ، ويضغط زر التحدث ، قائلاً:

_ (أندروفيتشى) .

جاوبه صمت مطبق ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن ينقطع الاتصال بغتة ، فانعقد حاجبا الروسى فى شدة ، على نحو جعل المفتش (أورتيجا) يعتدل فى توتر، قائلاً:

_ ماذا حدث ؟!

صمت (أندروفيتشى) بعض الوقت ، وهو يتطلّع اليه في شيء من الشرود ، قبل أن يغلق هاتفه المحمول ، ويعيده إلى جيبه ، قائلا :

_ لا شيء .. لا شيء يستحق الذكر .

كان ، على عكس ما يبدو ، يشعر بتوتر شديد في أعماقه ، بسبب هذا الاتصال العجيب ..

إنه يحمل هاتفًا محمولاً محولاً ، من طراز خاص للغاية ، لا يعرف رقمه سوى عدد محدود ، لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، في العالم أجمع ..

فمن منهم أجرى هذا الاتصال القصير ؟!

أو مَنْ سواهم ؟!

ولماذا لم يتحدَّث إليه ؟!

لقد كان هناك شخص ما حتمًا ، على الجانب الآخر

أتفاسه كانت مسموعة في وضوح ، وكأنما بتعمد هذا ..

شخص أراد أن يبلغه أن لديه رقم هاتفه الخاص ..

فمن يكون هذا الشخص ؟!

من ؟!

ان ١٤ من

« هل أقلقتك تلك المحادثة المحدودة إلى هذا الحد يا سنيور ؟! »

انتزعه سؤال المفتش من أفكاره ، فأجاب في سرعة وصرامة :

- إنها لم تقلقني على الإطلاق .

ثم وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وشد قامته ، وهو يعتدل على مقعده ، ليمنح نفسه هيئة الرجل الواثق من نفسه ، مستطرد ا :

- والآن دعنا نواصل حديثنا ، حول شراء النفوس والضمائر .. كم تحتاج لرشوة الجميع . رئد المفتش في دهشة :

- الجميع ؟!

أشار الروسى بيده ، قائلاً في حزم :

- نعم .. الجميع أيها المفتش .. رجال التحريات ، والبحث ، والأدلة الجنائية ، والأطباء الشرعيون ، وحتى رئيس الشرطة نفسه .. كم يتطلب هذا .. مليون أم مليونين ؟!

اتسعت عينا (أورتيجا) في شدة للرقم، وقال في عصيبة:

_ المسألة ليست مسألة مبلغ يا سنيور ، فالبعض مازال يتعامل بتلك المبادئ القديمة ، ويرفض بيع ذمته وضميره ، مهما كان الثمن .

مط (أندروفيتشى) شفتيه ، قائلا :

_ سيكون هذا من سوء حظ تلك الفئة .

مال المفتش برأسه إلى الأمام ، وأطل من عينيه مزيج من القلق والتوتر والتساؤل ، فتابع (أندروفيتشي) في صرامة :

- إنه أمر لا يحتمل الهزل يا رجل ، فإما أن نبتاع ذمم من يعترضون طريقتا ، أو نزيحهم عن هذا الطريق تمامًا . هل تفهمني ؟!

امتقع وجه المفتش ، وتراجع في بطء ، مغمغما : _ يا للشيطان ! إنك تزيد من صعوبة الأمر ياسنيور .

لوح (أندروفيتشى) بكفه ، وهم بقول شيء ما ، لولا أن ارتفع صوت طرقات على الباب ، فانعقد حاجباه ، وهو يلتفت إلى (كوادروس) ، ويشير إليه بتحرى الأمر ..

واتتزع (كوادروس) مسدسه من حزامه ، وهو يتقدم نحو الباب في حذر ، وسأل بصوته الأجش الغليظ:

- من بالباب ؟!

أتاه صوت يقول:

- خدمة الغرف .. لدى طرد عاجل للسنيور (يورى ميخائيل أندروفيتشى) .

لم يكد الروسى يسمع اسمه كاملاً ، حتى قفز من مقعده ، واستل مسدسه بدوره ، وهو يشير إلى (كوادروس) في توتر ، جعل هذا الأخير يقول في حدة صارمة :

- ابتعد عن الباب يا رجل .. ثلاث خطوات على الأقل .

وفى عصبية ، لم يمكنه إخفاءها ، تقدم (أندروفيتشى) نحو الباب ، وبركان ثائر يتفجّر في

أعماقه ، ويصب حممه الملتهبة في عروقه .. من ذا الذي يعرف اسمه كاملاً ؟!

حتى السنيورا نفسها لا تعرف اسم والده (ميخائيل أندروفيتشى) هذا !!

إنه اسم لم يرد قط ، في أية أوراق رسمية ، بخلاف ملفه الأساسي ، أيام عمله في المخابرات السوفيتية ..

من ذا الذي توصل إليه إذن ؟!

وفى عصبية مفرطة ، أشار إلى (كوادروس) ، الذى وثب إلى الأمام ، وفتح الباب بحركة حادة ، وهو يصوب مسدسه إلى الرجل الواقف خلفه ..

وشهق عامل خدمة الغرف في ذعر ، وتراجع صائحًا :

- أثا لم أفعل شيئًا يا سنيور .. لم أفعل شيئًا .

واصل (كوادروس) تصويب مسدسه إلى الرجل ، وهو ينقل بصره بينه وبين (أندروفيتشى) ، فى اتتظار أوامر هذا الأخير ، الذي سأل العامل فى صرامة :

_ ما الذي تحمله يا رجل ؟!

ارتجف العامل المسكين ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يجيب في صوت أقرب إلى البكاء :

- لست أدرى يا سيدى .. أقسم أننى لست أدرى .. لقد تركه أحدهم في استقبال الفندق ، وطلب تسليمه على الفور ، للسنيور (يورى ميخانيل أندروفيتشي) ، وقال : إنها هدية العيد .

تطلع إليه (أندروفيتشى) لحظة بنظرة متمعنة ، أدرك بعدها أن الرجل يرتجف ذعرا بالفعل ، فأشار إلى (كوادروس) ، قائلاً :

- تسلم الطرد .

أسرع (كوادروس) يلتقط الطرد من العامل، الذي لم يكد يسلمه إياه، حتى الطلق يعدو مبتعدًا، وكأتما لا يصدق إنه قد نجا، في حين أغلق (كوادروس) الباب بدفعة من قدمه، وهو يتساءل:

- ترى ما الذى يحويه هذا الطرد بالضبط ؟! قفز (أورتيجا) من مقعده، هاتفًا:

- حــذار أن تفتحــه علــى الفــور يـا سنيــور (أتدروفيتشـى) .. دع خبراء المفرقعات يفحصونـه أولاً .. ربما كانت بداخله قنبلة .

وضع (أندروفيتشى) الطرد على المنضدة، ومزّق الورق المحيط به في حذر، وهو يقول: - لم يعد هذاك من يستخدم هذا الأسلوب العتبق يا رجل.

تراجع (أورتيجا) في خوف ، قائلا :

_ من قال هذا ؟!

تطلّع (أندروفيتشى) إلى العلبة الورقية البسيطة ، التي كشفت عنها أوراق الغلاف الملونة ، ثم انتزع غطاءها ، قائلاً في صرامة :

ـ انا ـ

انتفض جسد (أورتيجا) في عنف ، عندما رفع الروسي غطاء العلبة ، وخيل إليه أن قنبلة ما داخلها ستنفجر في عنف ، وتطيح بهم جميعًا في لحظة واحدة ، إلا أن شيئًا من هذا لم يحدث ، وإنما انعقد حاجبا (أندروفيتشي) في شدة ، وتراجع بحركة شديدة العنف والحدة ، في حين قال (كوادروس) في حيرة ، وهو يتطلع إلى ذلك الشيء داخل العلية :

_ ما هذا بالضبط ؟!

مال (أورتيجا) برأسه ، ليتطلع إلى ذلك الشيء ، الذي أثار حيرة (كوادروس) ، ورد فعل قائده العنيف ،

ولم يكد بصره يقع على ما فى العلبة ، حتى انطلقت منه شهقة قوية ، وتراجع بنفس العنف والحدة ، اللذين تراجع بهما (أندروفيتشى) من قبل ، وهو يهتف :

- يا للشيطان !

فداخل العلبة الورقية ، استقرات سترة من مادة (الكيفلار) المضاد للرصاص ، وفي موقع الصدر منها السحقت ست رصاصات ..

وكان هذا يعنى الكثير .. الكثير جدًا ..

* * *

قرك البروفيسير (ميخانيل استروتيسكى) ، خبير الطاقة الذرية الإسرائيلى ، عينيه فى إرهاق ، وهو يقف أمام السنيورا في مكتبها ، قائلاً في توتير وارتباك :

- أخبرونى أنك تطلبيان مقابلتى على الفور يا سنبورا .

نفثت السنيورا دخان سيجارتها في عصبية ، وهي تسأله مباشرة :

- كم من الوقت يمكننا اختصاره يا (استروتيسكى) ؟ بدت عليه الحيرة ، وهو يفرك عينيه مرة أخرى ، متسائلاً في حذر :

_ ماذا تعنین یا سنیورا ؟!

صاحت به في غضب :

_ استيقظ يا رجل .. انعش عقلك ، واستمع إلى جيدًا ، وحاول أن تفهم كل كلمة أنطق بها ، فور خروجها من بين شفتى .

بذل (استروتيسكى) كل طاقته ، ليعتدل في وقفته ، وينفض عنه كل النعاس والكسل ، قائلاً في ارتباك :

_ كلى آذان مصغية يا سنيورا .

صاحت به في صرامة :

- كم من الوقت يمكننا اختصاره ؟! ازدرد لعابه في صعوبة ، وقال :

- هل تقصدين بالنسبة لإنتاج القنابل الذرية ؟! احتقن وجهها ، وهي تنفث دخان سيجارتها في عصبية ، قائلة :

_ هل فقدت قدرتك على الفهم يا رجل ، أم أنك تحتاج إلى رصاصة تنعش ذاكرتك وعقلك ؟!

سرت في جسده قشعريرة باردة ، وهو يجيب في سرعة :

- هذا يتوقف على عوامل شتى يا سنيورا .. فترات العمل ، وزمن تشغيل المفاعل ، وكمية القتابل المطلوب إنتاجها ، وقدراتها التفجيرية ، و ...

صاحت به :

- اختصر يا رجل .. أريد نتائج نهائية ، وئيس وصفًا تفصيئيًّا للأحداث .. هيا .. كم يمكننا اختصاره من وقت ؟!

ازدرد لعایه مرة آخری ، وهو یدیر کفیه ، قائلاً : - ما بین ست ساعات ویوم کامل ، وهو یتوقف نی ...

فاطعته في حدة :

- كيف يمكننا توفير يوم كامل يا رجل ؟! أشار بسبّابته لحظة في صمت ، ويدا وكأته يدير الأمور في رأسه ، بأقصى سرعة ممكنة ، قبل أن يجيب في حزم :

- بأن نخفض كمية القنابل المطلوب إنتاجها إلى النصف ، مع خفض عشرين في المائة من قدرتها

التفجيرية ، ومضاعفة ساعات العمل ، مع تشغيل المفاعل بأقصى طاقته طوال الوقت .

اتعقد حاجباها فى شدة ، وهى تعيد دراسة الأمر فى رأسها جيدًا ، ثم نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تقول :

- وماذا لو أتنا فعلنا كل هذا ، فيما عدا تخفيض القدرة التفجيرية للقنابل ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

_ سيمنحنا هذا عشرين ساعة فحسب ، ولكن ...

قاطعته في عصبية :

_ ولكن ماذا ؟!

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

_ ولكن تشغيل المفاعل بأقصى طاقته طوال الوقت ، قد يسبب مشكلات أخرى .

سألته في انفعال :

- مشكلات مثل ماذا ؟! هل يمكن أن ينفجر مثلاً ؟! صمت لحظة ، قبل أن يجيب في حذر :

ـ لا يمكننى فى الواقع إجابة هذا السؤال فى دقة .. الله يحتاج إلى خبير فى المفاعلات الذرية ، مثل (جولهى) ..

٨ - الزئبق ..

ارتجف جسد (قدرى) كثيرًا وطويلاً فى تلك الليلة ، حتى خُيل إليه أنه سيواصل ارتجافته هذه إلى الأبد ، ولن يتوقف قط ، حتى آخر لحظة فى عمره ..

وبينما كان يسير مع (منى) ، بين صفين من البدائيين ، في قلب الأدغال البرازيلية ، بدا له أن تلك اللحظة الأخيرة لن تتأخر كثيرًا ..

بل ستأتى بعد قليل ..

قليل جدًا ..

وفى توتر بلا حدود ، مال على أذن (منى) ، هامساً :

- هل تعتقدين أنهم يقتلون ضحاياهم أولاً ، أم أنهم سيضعوننا في تلك القدور الكبيرة ، ونحن على قيد الحياة ؟!

سألته فى سخرية عصبية : ـ وهل يصنع هذا فارقًا ؟! أجابها فى استسلام عجيب : التقى حاجباها مرة أخرى ، ثم اندفعت نحو هاتفها الخاص ، وقالت بلهجة آمرة صارمة :

- أريد البروفيسير (جولهى) . . (دوران جولهى) . ارتفع حاجبا (استروتيسكى) في دهشة ، مع توترها الشديد هذا ، وسألها في حذر :

- يبدو أن الوقت صار عاملاً غاية في الخطورة يا سنيورا .. أليس كذلك ؟!

واجهته بنظرة صارمة ، قائلة :

- إنه كذلك دائمًا .. أنت تعمل وخصمك يعمل ، والظافر في النهاية هو من يبلغ الهدف قبل الآخر . واكتسب صوتها رنة صارمة مخيفة ، وهي تضيف : - ولقد قررت أن أكون أول من يبلغ الهدف .. مهما كان الثمن .

قالتها ، وهي تعني كل حرف منها ..

إنها ستقاتل بكل قوتها ، حتى تبلغ الهدف قبل أى شخص آخر ..

ومهما كان الثمن ..

مهما كان .

* * *

71.

- لا أحب أن أتعذُّب ، قبل أن أموت .

تطلّعت إلى الرجال ، الذين يسيرون على الجانبين ، والطلاء على وجوههم ، ثم إلى العملاق الأسود ، الذي مازال يسير أمامهم ، حاملاً الحقيبتين ، ثم قالت : - هـــؤلاء القــوم لا يبدون كأكلـة لحـوم البشريا (قدرى) .

قال في عصبية :

- وكيف يبدو أكلة لحوم البشر ؟! أجابته في سرعة :

- لست أدرى كيف يبدون ، ولكنهم لن يتعاملوا معنا بهذا الاحترام بالتأكيد .. إنهم يبدون لى أشبه بوفد استقبال رسمى ، منهم برجال أضناهم الجوع ، وخرجوا في قلب الليل ، للبحث عن طعام بشرى .

صمت لحظة ، مديرًا عينيه في وجوه الجميع ، قبل أن يغمغم :

- أتعشم هذا يا عزيزتي .. أتعشم هذا .

كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، طوال مسيرتهما في قلب الأدغال ، حتى وجدا نفسيهما فجأة خارج منطقة الأغصان المتشابكة ، وأمامهما ما يشبه قرية

بدائية كبيرة ، التشرت فيها عدة مشاعل صغيرة ، وتجمع سكانها كلهم تقريبًا في ساحتها ، وكأنهم ينتظرون وصولهم بالتحديد ..

ومرة أخرى ، ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول:

رباه! مع كل هذا العدد ، لن يكفى جسدى كله لأكثر من وجبة واحدة .

لم تحاول (منی) حتی التعلیق علی عبارته ، مع کل ما تشعر به من توتر واجهاد وحیرة ...

لقد قطعت مسافة طويلة على قدميها وسط الأدغال ، وهي التي لم تنه فترة علاجها الطبيعي إلا منذ أيام قليلة ..

ثم إنها ما زالت تجهل ما يحدث ...

ما هذه القرية ؟!

من هؤلاء الرجال ؟!

ما صلتهم بذلك العملاق الأسود ؟!

وما صلة (أدهم) يكل هذا ؟!

عشرات الأسئلة عربدت في رأسها ، وهي تمضى مع (قدرى) ، حتى منتصف ساحة القرية ، وعيون الجميع تتطلع إليهما في اهتمام بالغ ..

ثم تحدُّث العملاق الأسود ..

تحدّث إلى رجال القرية في حماس ، وهو يشير اليهما ..

ولم يفهم أحدهما حرفًا واحدًا ، مما تحدث به العملاق ..

لم تفهم (منى) ، أو تستوعب ، سوى كلمة واحدة ، سبق أن سمعت العملاق ينطق بها من قبل ، عندما حملهما إلى الزورق الآلى ..

أومو بيلجروسو ..

لقد نطقها العملاق الأسود ، في هذه المرة أيضًا ، وهو يشير إليهما ، فأطلَ الابهار والاحترام من كل العيون ، واقترب منهما شخص ، يبدو من هيئته أنه زعيم الرجال ، وراح يلوّح بيديه ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، ويتحدّث في حماس ، بكلمات لم يمكنهم أن يفهموا منها سوى الكلمة نفسها ..

أومو بيلجروسو ..

وفي حيرة متوترة ، قال (قدرى) :

- ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

هزات (منى) رأسها في حيرة أكثر ، قائلة :

- لست أدرى .. إنهم يستقبلوننا بمنتهى الاحترام والاهتمام ، ويرددون الكلمة نفسها .. أومو بيلجروسو ، وهى تعنى شيئًا ما بالتحديد ، و ..

قاطعها صوت أنثوى مألوف ، يقول بالعربية :

- أومو بيلجروسو كلمة برتفالية ، تعنى الرجل الخطير ، وهم يستخدمونها إشارة إلى زميلنا المشترك .. (أدهم صبرى) .

التفت الاثنان في سرعة إلى مصدر الصوت ، وهتفت (منى) في انفعال :

- (جيهان) ؟!

· رمقتها (جیهان) بنظرة طویلة ، تفحصتها من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدمیها ، قبل أن تقول ، فى لهجة لم ترق أبدًا لـ (منى) :

- نعم یا زمیلتی العزیزة .. أنا (جیهان) ، بلحمها و ...

ومرزّرت أصابعها على شعرها الأشقر الطويل ، قبل أن تضيف بلهجة خاصة :

_ وجمالها .

أدركت (منى) على القور ما تعنيه (جيهان)،

100

_ منقذهم الأسطورى ؟! ماذا يعنى هذا ؟!

رفعت (جيهان) أحد حاجبيها ، وهي تقول :

_ الكثير .

ثم أشارت إلى العملاق الأسود ، قائلة في صرامة آمرة :

_ (بترو) .. ضع الحقائب هنا .

أطاعها العملاق الأسود على الفور ، على الرغم من أنه لم يفهم حرفًا واحدًا ، مما نطقته بالعربية ، في حين التفتت (جيهان) إلى (منى) و (قدرى) ، قائلة :

_ أعتقد أن الفضول واللهفة يكادان يلتهمانكما بلا رحمة ، لرغبتكما في معرفة تفسير ما يحدث هنا .

أجابها (قدرى) في سرعة:

_ بالتأكيد .

أشارت (جيهان) بيدها إلى الكوخ الكبير، الذي نقل إليه (بترو) الحقيبتين، وقالت:

_ فليكن .. سأروى لكما كل شيء ، بينما يعالج ساحر القرية إصابة (قدرى) . ردد (قدرى) بدهشة بالغة :

قالتقی حاجباها فی ضیق ، فی حین تهلّت اساریر (قدری) ، وهو یهتف فی سعادة:

- (جیهان) ؟! مرحی یا عزیزتی .. إذن فأتت بخیر .. كنت أخشی أن ..

قاطعته (جيهان) بلهجة ساخرة:

- لا تخش شيئا يا عزيزى (قدرى) .. ليس من السهل التخلص منى .

ورمقت (منى) بنظرة جانبية ، قبل أن تستطرد في خبث :

- آبدًا .

شعرت (منى) بغصة فى حلقها ، مع هذا الأسلوب الملتوى ، وقررت تجاوز الأمر كله ، قبل أن تضطر للاشتباك مع (جيهان) ، فسألتها فى حزم :

- ما الذي يحدث هنا بالضبط؟! لماذا يستقبلنا هؤلاء القوم بكل الاحترام والتوقير؟!

هزت (جيهان) كتفيها ، قائلة :

- لأنكم تتبعون (أدهم) .. الأومو بيلجروسو .. منقذهم الأسطورى ، الذى ينتظرونه منذ مئات السنين . بدت الدهشة على وجه (قدرى) ، وغمغمت (منى) في حيرة :

- ساحر القرية ؟!

ولكنه دلف بسرعة إلى الكوخ ، وجلس على أرضيته ، وهو يتأوّه ألمًا ، في حين عقدت (جيهان) ساعديها أمام صدرها ، ورمقت (منى) بنظرة جانبية أخرى ، قبل أن تقول :

- الواقع أنها قصة عجيبة .. عجيبة للغاية . قالتها ، لتجذب التباههما بشدة ، و .. و بدأت تروى .

* * *

« اِنَّهُ هَنَا .. » .

نطق (أندروفيتشى) الكلمة فى عصبية واضحة ، حطَّمت هدوءه الأسطورى ، وهو يقبض على مسدسه فى قبوة ، ويتلفَّت حوله فى توتر ، جعل وجه (أورتيجا) يمتقع فى شدة ، ودفع (كوادروس) إلى أن يقول فى قلق :

- من هو ؟!

أجابه (أندروفيتشى) في حدة :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

ارتفع حاجبا (كوادروس) في شدة ، وهو يهتف :

_ (أدهم صبرى) ؟! ألم تقل إنك قد قتلته أيها القائد ؟!

أجابه (أندروفيتشي) ، وهو يتلفّ حوله في عصبية زائدة :

_ كنت أتصور هذا أيها الغبى .. لقد أطلقت ست رصاصات على صدره مباشرة ، ورأيته يسقط فى المحيط .

قال (كوادروس) في سرعة:

ـ ولقى مصرعه .

لوَّح (أتدروفيتشي) بيده في قوة ، قائلا :

- هذا ما كنا نعتقده جميعًا ، ولكن الرسالة واضحة .. سترة مضادة للرصاص ، بها موضع ست رصاصات ، في صدرها مباشرة .. إنه يسخر منا ويرسل إلينا السترة المضادة للرصاص ، التي كان يرتديها في الهليوكوبتر ، عندما أطلقت عليه النار .. إنها وسيلته ليخبرنا أنه قد نجا .

قال (أورتيجا) بعصبية مماثلة :

_ وأنه هنا .

اتعقد حاجبا (كوادروس) في شدة ، وهو يكرر :

15 Lia _

قال (أندروفيتشى) في صرامة:

- نعم .. هنا .. (أدهم صبرى) على مقربة منا .. حولنا .. يراقبنا .. يسخر منا .. يلعب معنا لعبة ذكية ، لتحطيم أعصابنا ، ودفعنا إلى ارتكاب أخطاء وحماقات ، يمكنه الاستفادة منها ، للإيقاع بنا جميعًا .

ازداد انعقاد حاجبا (كوادروس) فى عصبية ، وهو يتحسنس تلك الضمادات على وجهه ، فى حين استل (أورتيجا) مسدسه بدوره ، وهو يقول :

- لن يفلت منا .. سنحاصر المنطقة كلها ، أنا ورجالي ، و ...

قاطعه (أندروفيتشي) في صرامة :

- كلا أيها المقتش .. لن تفعل هذا .

قال (أورتيجا) في حدة :

- لماذا ؟! إنها فرصتنا له ..

قاطعه (أندروفيتشى) مرة أخرى ، بنفس الصرامة : - كلاً أيها المفتش . لن تتحرك حركة واحدة فى هذا الأمر ، دون أوامر مباشرة منى ؛ لأن ما تنوى فعله هو بالضبط ما يسعى إليه (أدهم صبرى) . قرارات

انفعالية سريعة ، غير مدروسة .. لا أيها المفتش .. لن أسمح بأية حماقات ، في هذه اللحظات بالذات .

حدًق (أورتيجا) في وجهه بدهشة ، وهو يقول:
- ولكنها فرصتنا يا سنيور (أندروفيتشي) .. الرجل
في مكان ما حولنا ، ولو حاصرنا المنطقة جيدًا ،
فسيقع حتمًا في قبضتنا .

قال (أدندروفيتشي) في سخرية عصبية:

_ يقع فى قبضتكم ؟! هل تتصور أن هذا أمر سهل يا رجل ؟! إنك إذن تجهل تمامًا من هو (أدهم صبرى) .. إنه ليس شخصًا عاديًا ، يمكنك أن تحكم قبضتك حوله .. إنه أشبه بالزئبق .. عندما تتصور أنه فى قبضتك ، تجده ينزلق من بين أصابعك فى سرعة ، كما لو أنك لم تقبض عليه قط .

حدًق المفتش لحظات أخرى فى وجهه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم قال فى عصبية :

_ هل سنتركه يمرح هنا ، دون أن نفعل شينا ؟! صمت (أندروفيتشي) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول في حزم :

_ كلا أيها المفتش .. لن نقف ساكنين ، ولكننا

سنتحرك هذه المرة دون توتر أو اتفعال .. وطبقًا لخطتى أنا .

ثم اتعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد :

- إننى لن أتنازل ببساطة عن ذلك اللقب ، الذى حصلت عليه مؤخرًا .

وارتجف صوته في اتفعال حازم صارم ، وهو يضيف :

- لقب الرجل الذي قتل (أدهم صبري) . . الأسطورة .

المهرجان السنوى في (ريو دى جانيرو) ، لا يشبه أي مهرجان آخر ، في الدنيا كلها ..

المدينة كلها تتحول إلى شعلة من الأضواء والنشاط والحيوية ، منذ غروب الشمس ، وحتى شروقها ، دون أن يتوقف كل هذا لحظة واحدة .

المدينة كلها تظل ساهرة ، ترقص وتمرح .. الفرق الموسيقية والغنائية في كل الشوارع الرئيسية ..

فيض من البشر في ثياب تنكرية ، يملأ الطرقات .. نماذج ضخمة لكل أبطال الروايات الشهيرة ، يدفعها الرجال في الطرقات ، وفوقها راقصين وراقصات ..

وريما بعض مشاهير نجوم المسرح والسينما أيضًا .. واحتفالات المهرجان هذه لا تقتصر على الشوارع والطرقات ، وإنما تمتد إلى كل مكان في (ريو) بلا

استثناء ..

المنازل ..

التوادى ..

الملاهي الليلية ..

والفنادق ..

وفى ذلك الفندق ، الذى يقيم فيه (أندروفيتشى) ورجاله ، كان هناك احتفال كبير ، اعتاد الفندق إقامته ، فى الموعد نفسه من كل عام ..

ومع الهرج والمرج ، والخمر الذي يراق أتهارًا ، والموسيقي الصاخبة والراقصات الحسان ، غاب رجال السنيورا حتى النخاع ، وغرقوا في نهر من العبث والمرح ، خلب لُبَّهم ، وشغلهم عن كل ماعداه ..

وفي غمرة اللهو ، هتف أحد الرجال بزميليه :

- مرحى يا رجال .. هكذا تكون الحياة .. إننى لم أشعر بمثل هذه المتعة ، منذ عملت مع السنيورا .. من الضرورى أن نخرج لمطاردة شخص ما ، في (ريو دى جانيرو) ، في مثل هذا الوقت من كل عام . من اتت يا رجل ؟! وما شانك بنا ؟!

أجابه الرجل بنفس الهدوء:

_ أما أحد رجال المفتش (أورتيجا) ..

سأله الرجل الثاني في حدة :

_ وماذا تريد منا يا رجل المفتش (أورتيجا) ؟! أجابه الرجل بسرعة :

- ذلك المصرى ما زال على قيد الحياة . هتف الثلاثة في أن واحد ، وبدهشة بالغة :

_ على قيد الحياة ؟!

أوماً برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. سنيور (أندروفيتشى) يكاد يشتعل غضبًا لهذا ، ولقد أخبرنى ، هو والمفتش (أورتيجا) ، أنه يريدكم جميعًا في حجرته على الفور .. هناك خطة شاملة ، للإيقاع بذلك الرجل .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة بالغة التوتر ، ثم أشار أحدهم لزميليه ، قائلاً : .

_ هيا بنا .

الدفع ثلاثتهم مع رجل المفتش نحو مصعد الفندق ، وما أن أصبحوا داخله ، حتى ابتسم الرجل الهادئ ، وقال في سخرية عجيبة :

١٩٥١ - رجل المستحيل (١١٥) بلا رحمة إ

ضحك أحد زميليه ، قائلا :

- يمكننا اعتباره نوعًا من التدريب ، مثل المناورات الحية ، التي يقوم بها رجال الجيش .

قهقه التَّالتُ ضاحكا ، وقال :

- الواقع أن كل شيء هذا يجعلها مناورة حية للغاية . ثم غمز بعينه ، مشيرا إلى فريق الراقصات ، مستطردا :

- هل ترى ؟! إنهن ينبضن بالحياة .

هتف الثاني في لهفة :

- هل تعتقد أنهن يمكن أن يستجين لمغازلتنا ؟ انفرجت شفتا الأول ، ليقول شيئًا ما ، ولكن صوتًا هادئًا قاطعه قائلاً :

- المشكلة أنه لن يكون لديكم الوقت لهذا .

التفت الثلاثة في حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وتطلعوا في عصبية إلى رجل ممشوق القوام ، طويل الشعر ، له شارب ضخم ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يتابع :

- فقد اتتهى الحفل بالنسبة لكم . سأله أحدهم في صرامة :

- عجبًا! لم أتصور أبدًا أن الأمر سيتم بهذه البساطة.

ضغط أحد الرجال الثلاثة زر الطابق الثالث ، وهو يسأل :

- أي أمر ؟! -

انتزع الرجل شاربه الكث المستعار بغتة ، وهو يجيب في سخرية :

. Iia -

اتسعت عيون الرجال الثلاثة ، في مزيج من الدهشة والذعر ، وهم يحدقون في وجه (أدهم) ، الذي استطرد ساخرًا :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟!

قفزت أيديهم إلى مسدساتهم في سرعة البرق، وأحدهم يهتف:

- أيها الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، أخرسه (أدهم) بلكمة كالقتبلة ، من أسفل إلى أعلى ، ارتفع لها جسد الرجل لعدة سنتيمترات عن الأرض ، وارتطم رأسه بجدار المصعد في عنف ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها قدم

(أدهم)؛ لتغوص في معدة الثاني كمطرقة من الفولاذ، وتلصقه بالجدار المقابل، وهو يطلق شهقة مؤلمة، وعاموده الفقري يصرخ ألمًا، في حين تراجع الثالث مذعورًا، حتى التصق بباب المصعد، وهو ينتزع مسدسه من سترته، ولكن (أدهم) انقض عليه كالصاعقة وهو يقول ساخرًا:

_ ألم يحذّرك أحد في طفولتك ، من الاقتراب من أبواب المصاعد ؟!

قالها ، وهو يلكم الرجل بيمناه في أنفه ، تم يعقب لكمته بأخرى من يسراه ، في أسنانه مباشرة ..

وتفجّرت الدماء من أنف الرجل وفمه ، وانطلقت قبضة (أدهم) اليمنى مرة ثانية ، لتمزج الدمين ، وتسحق أنف الرجل تمامًا ..

ودار (أدهم) حول نفسه ، ولكم أحد الرجليان الآخرين في فكه مباشرة ، ثم جمع قبضتيه ، وهوى بهما معًا على رأس الآخر كالقنبلة ..

وتكوم الرجال الثلاثة عند قدميه ، فأسرع ينتزع مسدساتهم ، وخزانات الرصاصات الإضافية ، ثم ابتسم في سخرية ، قائلاً :

- أبلغوا تحياتي للوغد (أندروفيتشي) ..

ويقفزة مدهشة ، دفع باب الطوارئ العلوى للمصعد ، وتعلق بحافته ، ثم عبره في مرونة ، وعاد يغلقه خلفه ، في نفس اللحظة التي وصل فيها المصعد إلى الطابق الثالث ، وانفتح بابه آلیا ، فالتفت إلیه الرجلان اللذان ترکهما (أندروفیتشی) لحراسة الطابق ، وهنف أحدهما عندما وقع بصره على الرجال الثلاثة :

بلغ هتاف مسامع (أورتيجا) و (كواردوس) و (أندروفيتشى) فاتدفع ثلاثتهم خارج حجرة هذا الأخير، واتسعت عيونهم في دهشة، مع مرأى ما أصاب الرجال الثلاثة، فانتزع (أندروفيتشي) مسدسه في حدة، وتلفّت حوله هاتفًا:

_ اللعنة ! ماذا حدث ؟!

- إنه هنا -

كان باب المصعد يبدأ رحلة الإغلاق ، بعد انتهاء فترة انتظاره ، فأسرع أحد رجلى الحراسة يعترضه ، في حين اندفع الثاني يخرج الرجال الثلاثة من المصعد ، و (أورتيجا) يقول في عصبية بالغة :

- إنه يتحداثا !! يعيث بنا .. يسخر منا .. إنه ..

قاطعه (أندروفيتشى) في صرامة:

ـ إنه هنا ..

ثم تلقت حوله في عصبية زائدة ، وأضاف :

_ داخل الفندق .

التقط (أورتيجا) جهاز اللاسلكى من حزامه في سرعة ، قائلاً :

_ سأستدعى رجالى .

امسك (أندروفيتشى) معصمه في قوة ، قائلاً في صرامة :

صراحه . _ قلت : إن كل شيء سيسير وفقًا لأوامرى وحدها . قال (أورتيجا) في عصبية ، وهو يحاول تخليص معصمه ، من قبضة الروسي :

_ ولكن هذا الأمر يحتاج إلى تدخل الشرطة .

أجابه (أندروفيتشي) في صرامة :

_ خطأ يا رجل .. خطأ .. تدخل الشرطة الآن سيزيد الأمور تعقيدًا .. يكفينا ما نعانيه من تدخلكم السابق . انتزع (أورتيجا) معصمه من يد (أندروفيتشي) ، وهو يقول في حدة :

_ لولا تدخلنا هذا لما ..

قاطعه (أتدروفيتشي) في حدة مخيفة :

- لما ماذا ؟!

تراجع مفتش الشرطة في توتر ، مغمغمًا :

- لاشىء ياسنيور .. لاشىء .

تطلع (أندروفيتشى) في عينيه مباشرة بنظرة صارمة قاسية سرت لها قشعريرة باردة في جسد الرجل ، قبل أن يعتدل الروسي ، ويشير إلى (كوادروس) قائلا:

_ مر رجالنا بترك ذلك الاحتفال السخيف، والعودة إلى العمل فورًا ..

أريد محاصرة القندق كله .. كل المداخل والمخارج بلا استثناء .. حتى الأبواب الخلفية للمطابخ وفتحات القمامة .. سنسجن ذلك الشيطان هنا ، حتى يمكننا السيطرة على الموقف ، ويعدها سنعمل على تمشيط الأدوار ، واحدًا بعد الآخر ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق في أحد الرجال الثلاثة ، الذين سحقهم (أدهم) داخل المصعد ، وهم يسحبونه خارجه ، فهتف بالحارسين :

- مهلا .

توقف الرجلان في حيرة ، فاتدفع نحوهما ، واتحنى

يفحص الرجل في اهتمام مما جعل (أورتيجا) يقترب منه في حذر ، قائلا :

_ ماذا هناك ؟!

أجابه الروسى في توتر:

- هذا الرجل تحطم أنفه منذ لحظات قليلة .. قليلة للغاية .

سأله (أورتيجا) في حيرة:

- وماذا يعنى هذا ؟!

اعتدل (أندروفيتشي) بحركة حادة ، دون أن يجيب سؤاله ، وأدار عينيه في سرعة إلى المصعد ، ونقل بصره في حنكة بين آثار القتال على جدراته ، ثم رفع عينيه إلى فتحة الطوارئ في سقف المصعد ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل أن يهتف :

! aiell -وبحركة سريعة ، وقبل أن يفهم أي من رجاله ما يحدث ، استدار ينتزع من أحدهم مدفعه الآلي ، شم رفعه نحو سقف المصعد ، و ...

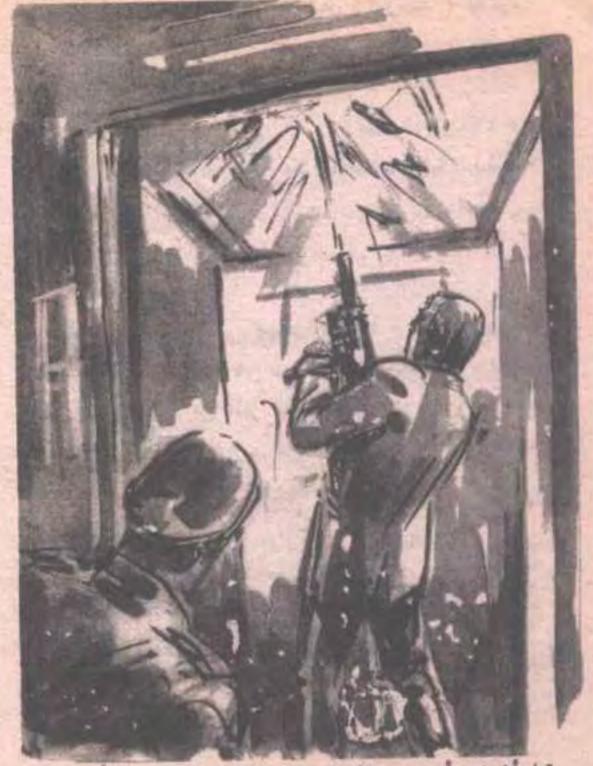
وأطلق الثار ..

بمنتهى العنف .

٩ _ المصار ..

اتسعت عينا (قدرى) فى البهار شديد، وهو يستمع بكياته كله إلى (جيهان)، التى راحت تروى له وله (منى) ما حدث، قائلة:

_ عندما وصل (أدهم) إلى هنا ، عبر المقبرة الرئيسية لهذه القرية البدائية ، كان كل شيء يوحى بالفشل واليأس ، وبأن الوطنيين سيواجهونه مع (بترو) ، الزنجى الذي عثر عليه في الكهف ، بمنتهى العنف والقسوة والشراسة ، وسيقتلونه على الفور ، بلا رحمة أو شفقة ، خاصة وأته وصل إلى المكان فيما يطلقون عليه اسم (عيد كل الموتى) ، وهو اليوم الوحيد في السنة كلها ، الذي لا يسمحون فيه لغريب ، مهما علا شأنه ، بأن يدنس قريتهم ، التي تستعد لاستقبال أرواح الموتى العائدة ، طبقا لعقيدتهم الوثنية .. ولقد كان (أدهم) يحملني ، وقد أضناه التعب ، وبلغ منه الإرهاق مبلغه ، وكنت أتا أكاد ألفظ أتفاسى الأخيرة ، و (بترو) يرتجف رعبا



وقبل أن يفهم أى من رجاله ما يحدث ، استدار ينتزع من أحدهم مدفعه الألى ، ثم رفعه نحو سقف المصعد . .

وهلعًا ، لمعرفته بما يفعله الوطنيون ، في مثل هذا

والتقطت نفساً عميقا ، قبل أن تقول : - ولكن كانت هناك مفاجأة في انتظار الجميع . بدا الاهتمام على وجه (منى) ، وهي تعدل في مجلسها ، متسائلة :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

الموقف .

لوحت (جيهان) بيدها ، قاتلة :

- هؤلاء البدائيون كانت لديهم أسطورة قديمة ، تقول : إنه بعد أن تتعقد أمورهم كثيرًا ، وتضيق بهم سبل العيش ، ستتجمَّع أرواح كل أبطالهم السابقين ، لتحلّ في جسد شخص واحد ، يأتي من قلب الموت ، في عيد كل الموتى ، ليحمل إليهم الأمل ، وينقذهم مما هم فيه .

توقّفت عن الحديث عندما دلفت إلى الكوخ مجموعة من النساء ، تحملن صحاف كبيرة ، فوقها كمية ضخمة من اللحوم المطهية بعناية ، والقواكه الطازجة ، فهتف (قدرى) في نهفة:

- آه .. يبدو أن الحياة هنا ستروق لي كثيرًا .

اتحنت إحدى النساء تنظف جرحه ، وتفحصه جيدًا ، ولكنه لم يولها أدنى اهتمام ، وهو ينقض على اللحوم والفواكه في شراهة ، جعلت (جيهان) تضحك قائلة : - رويدك يا (قدرى) .. إنهم يقدمون هذه الوجبات تُلاث مرات يوميا .

هتف في سعادة :

_ عظيم .. عظيم .

أما (منى) فقد ابتسمت في رصانة ، قائلة :

- وكنت تخشى أن يأكلوك ؟!

صرخ (قدرى) فجأة في ألم ، وصاح في المرأة التي تفحص جرحه:

_ ماذا فعلت بالله عليك ؟!

لم تقهم المرأة ما يقوله ولكنها رفعت يدها إليه ، وفردت راحتها ، فحدِّق في الرصاصة التي استقرَّت فيها ، ومنتف ذاهلا :

- رباه! أهى نفس الرصاصة ، التي ...

لم يستطع إتمام عبارته ، من فرط الانفعال ، ولكن (جيهان) أجابته في سرعة:

- نعم يا (قدرى) .. لقد انتزعت الرصاصة بأصابعها .

هتف في ذهول :

- بأصابعها ؟! ولكننى لم أشعر بما يتناسب مع ذا .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- لاريب في أنها قد استخدمت أحد دهاناتهم العجيبة .. إنهم يمتلكون هنا عقاقير مدهشة .

سألتها (منى) في لهفة :

- ماذا حدث يا (جيهان) بعد وصولكم إلى هنا ؟! التفتت إليها (جيهان) قائلة :

- القدر قادنا إلى هذا ، في الوقت المناسب تمامًا ، فالرجال فوجئوا بشخص يخرج من مقبرتهم الرئيسية ، حاملاً فتاة تحتضر وبصحبته عملاق أسود مخيف . وبسرعة ، ربطوا بين ظهوره ، وبين أسطورتهم القديمة ، وراحوا يهتفون بأن المنقذ المنتظر قد ظهر . قالت (مني) في دهشة :

- ولكنه كان منهكا للغاية كما تقولين ، وأثت كنت تحتضرين ، و ...

قاطعتها (جيهان) في سرعة:

_ لقد تصوروا أن ما أصابنا مجرد ناتج طبيعى ،

لانتقالنا من عالم الموتى إلى عالم الأحياء ، وأن كل ما نحتاج إليه هو التكيف مع حالة البعث هذه .

سألتها (منى):

_ وماذا عن (بترو) ؟!

ضحكت (جيهان) ، قائلة :

_ إنه في رأيهم حارس الموتى الذي رافقتا في رحلتنا بين العالمين

ابتلع (قدرى) قطعة كبيرة من اللحم في صعوبة ، قبل أن يقول :

_ إنه يبدو كذلك بالفعل .

القت (جيهان) نظرة جانبية على (بترو) الذي جلس صامتًا ساكنًا ، عند باب الكوخ ، كما لو أنه تمثال من المرمر الأسود وقالت :

- يبدو أنه هو نفسه قد صدق هذه المقولة ، فمنذ استخدم هؤلاء القوم عقاقيرهم المدهشة ، وأعادوا (أدهم) إلى نشاطه ، وحيويته السابقين ، وأنقذونى من موت محتوم ، وهو يعتبر نفسه الحارس الشخصى لنا .

وهزئت كتفيها مرة أخرى ، ثم تابعت :

- هل تصدقان إنه كان جبانا رعديدًا ، عندما التقى به (أدهم) ؟!

توقف (قدرى) عن مضغ طعامه في دهشة ، وهو يقول:

ـ هذا كان جبانًا رعديدًا .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- هكذا أخبرنى (أدهم) .. هو نفسه يشعر بالدهشة لما حدث ، فعقاقير هؤلاء البدائيين جعلته يستعيد كل طاقاته السابقة .. حتى جروحه نم تعد تؤلمه .. لقد التئمت كلها على نحو ما .. الجرح الذي أصابني أيضًا كاد يلتنم ، على الرغم من أن عمره لا يتجاوز اليوم الواحد

قالت (منى) في دهشة :

- عجيًا ! كان من المستحيل أن أقتنع بقول كهذا ، لو لم أسمعه منك . . إتنى أشعر بدهشة عارمة لكل

غمغمت (جيهان) :

- ستجدين الكثير مما يدهشك هنا .

نهضت (منى) قائمة في حزم ، وهي تقول :

- لن أمضى المزيد من الوقت هنا ، وأترك (أدهم) يقاتل وحده هناك .

نهضت (جيهان) بدورها ، وقالت في صرامة :

- أوامر (أدهم) حاسمة وصارمة في هذا الشأن ..

لقد أخبرنى ، فور علمه بقدومكما أنه سيبحث عنكما ،

وسيرسلكما إلى هنا حتى ينهى مهمته في (ريو) . هتفت (منی):

- ولكنني ..

قاطعتها في صرامة أكثر:

- لا يمكننا مناقشة أو امر رئيسنا المباشريا (منى). اتعقد حاجبا (منى) في توتر ، فعادت (جيهان) تشملها بنظرة طويلة من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها ، قبل أن تقول بابتسامة غامضة :

- ثم إن عزيزنا (أدهم) قد أعد لك برنامجا حافلا

تطلعت إليها (منى) بنظرة متسائلة حائرة ، فتابعت بسرعة:

_ وصدقینی یا عزیزتی .. إنه برنامج خاص .. خاص للغاية .

قالتها وابتسامتها تزداد اتساعًا وغموضًا .. بلا حدود ..

* * *

عندما أطلق (أندروفيتشى) رصاصاته نحو سقف المصعد، لم تكن لديه نرة واحدة من الشك في أن (أدهم) يختفي هناك ..

كل شيء كان يؤكد هذا بشدة ..

الدماء الدافئة ، على وجوه الرجال الثلاثة ..

آثار القتال الواضحة في المصعد ..

وفتحة الطوارئ التي لم يتم إغلاقها في إحكام في سقف المصعد ..

لذا ، فلم يكد يطلق رصاصاته ، حتى وثب إلى الفتحة ودفع غطاءها بكل قوته ليتعلَّق بحافتها ويدفع جسمه أعلى المصعد ..

وهناك اتعقد حاجباه في غضب هادر ..

كان يتوقع رؤية (أدهم) جثة هامدة على سطح المصعد، بعد أن اخترقت رصاصاته جسده بلا رحمة .. ولكن (أدهم) لم يكن هناك ..

كان المكان خاليًا تمامًا ، في حين بدا باب المصعد ،

فى الطابق الرابع ، منفرجًا قليلاً على نحو يوحى بأن أحدهم قد عبره ، ثم لم يبال بإغلاقه جيدًا خلفه .. وهتف (أندروفيتشى) فى غضب :

_ اللعنة ! لقد خدعنا .

ثم قفز عائدًا إلى المصعد وهتف برجاله :

_ إنه في الطابق الرابع .. أسرعوا .

انطلق (كوادروس) يسبق الرجال، إلى الطابق الرابع، في حين قال (أورتيجا) في عصبية:

_ ذلك الرجل يتحرّك بسرعة وخفة مخيفتين يا سنيور،

ورجالك لن يمكنهم القيام بالعمل كله في آن واحد .

التفت إليه (أندروفيتشي) في حدة قائلا:

- رجالی أقوی مما تصور بارجل .

لوَّح (أورتيجا) بكفيه قائلا:

_ بالتأكيد يا سنيور .. بالتأكيد .. إننى لم أشر لقوتهم وقدراتهم قط .. كل ما كنت أقصده هـ و أن عددهم أقل مما ينبغى .

رمقه (أندروفيتشى) بنظرة عصبية ، فتابع بسرعة : - بالإضافة إلى السنيور (كوادروس) ، والسنيور (لاماس) ، وأتت يا سنيور يصبح عددكم كله خمسة

عشر رجلا ، ولقد عولج ثلاثة منهم بعنف شديد ، جعلهم غير صالحين للعمل ، في الوقت الحالى ، وهذا يعنى أتكم دستة من الرجال فحسب ، وهذا الفندق لله سبعة مداخل ومخارج .. وهذا يعنى أن سبعة منكم سيضطرون لحراسة تلك المداخل السبعة ، ولن يتبقى حزى خمسة رجال ، للبحث عن ذلك الشيطان داخل الفندق .

سأله (أندروفيتشي) في حذر:

- وماذا تقترح إذن ؟!

أجابه (أورتيجا) في سرعة ولهفة:

- أن تتفرع ورجالك للبحث عنه ، في حين يتولّى رجالي حراسة المداخل والمخارج فحسب ، دون أن يتدخّلوا في عملية البحث ذاتها .

اتعقد حاجبا (أتدروفيتشى) بضع لحظات ، قبل أن يقول في صرامة :

- لا بأس .. هذا اقتراح معقول للغاية .

ثم أشار بيده ، وهو يتحرك تحو سلم الفندق ، في خطوات واسعة سريعة ، مستطردا :

- مر رجالك بحراسة المداخل والمخارج ، وسنتولى نحن أمر ذلك الشيطان ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع دوى رصاصات مدفع آلى ، فى الطابق الرابع ، فانطلق (أندروفيتشى) يعدو إلى هناك ولحق به (أورتيجا) ، وهو يهتف بأحد رجاله ، عبر جهاز اللاسلكى :

_ احرسوا كل مداخل ومخارج الفندق وأطلقوا النار فورًا على ذلك الرجل ، الذى وزّعت صوره عليكم ، وإياكم أن تتدخلوا فيما يحدث بالداخل ، مهما كانت الأسباب .. هل فهمتم ؟!

وصل الاثنان إلى الطابق الرابع في تلك اللحظة ، وبدا لهما (كوادروس) يحمل مدفعًا آليًا ، ويصويه إلى إحدى الغرف ، التي ظهر في بابها تقوب رصاصات عديدة ، في حين كان أحد الحارسين ملقى إلى جواره ، والدماء تغرق أنفه ووجهه كله ، فهتف (أندروفيتشي) في عصبية :

_ ماذا حدث ؟!.

أجابه (كوادروس) ، وهو يشير إلى الباب في حدة :

- كنا نتفقد الطابق ، بحثًا عن ذلك الشيطان ، عندما
سمعنا حركة ما هنا ، وعندما اقتحمنا المكان هبط
علينا من السقف كالصاعقة .

ارتجف صوت (أورتيجا) وهو يقول:

_ من السقف ؟!

أجابه (كوادروس) في اتفعال :

- نعم .. كان معلقا من قدميه في سقف الحجرة ولقد هبط كطير جارح ، فوجئنا به أمامنا ، ولكم زميلنا هذا في أنفه لكمة كالقنبلة ، حتى أنبه ارتظم بي في عنف ، واندفع كلانا خارج الحجرة ، في حين جذب هو الحارس الآخر في قوة ، وركل الباب ليغلقه خلفه ،

قاطعه (أندروفيتشي) في عصبية:

- وأطلقت أنت النار على الفور .

بدت الحيرة على وجه (كوادروس) وهو يقول: - وماذا كنت تنتظر منى أن أفعل أيها القائد؟! احتقن وجه (أندروفيتشي) ، وهو يهتف:

- عبى .

تراجع (كوادروس) فى عصبية ، وعقله يعجز عن فهم ما أغضب قائده ، الذى دفع باب الحجرة المملوء بثقوب الرصاصات ، فهتف به (أورتيجا):

- احترس يا سنيور .. ذلك الشيطان بالداخل .

قال (أندروفيتشي) في حنق : _ هل تعتقد هذا أنت أيضًا ؟!

هم (أورتيجا) بقول شيء ما ، لولا أن وقع بصره على الحارس الثاني ، ملقى جثة هامدة عند مدخل الحجرة ، وقد اخترقت جسده كل الرصاصات التي أطلقها (كوادروس) الذي هنف :

_ يا للشيطان !

التفت إليه الروسى قائلاً في حدة :

_ نفس ما توقعته تمامًا .. إنه يثير أعصابنا ، ثم يستفيد من حماقاتنا وأخطائنا .. لقد فقدنا رجلين آخرين دون أن نضع أيدينا عليه .

قال (كوادروس) في عصبية :

_ ولكنه هنا .

أجابه (أندروفيتشى) في صرامة :

_ اعلم هذا ...

ثم تلفُّت حوله قبل أن يتابع في صرامة حملت غضبًا واضحًا :

- أعلم أنه هذا حولنا ، في مكان ما ، ينتظر أخطاءً أخرى ، ليقضى على من تبقى منا . _ ماذا حدث أيها القائد ؟!

لور (أندروفيتشي) بذراعه هاتفا:

- الغرفة السفلي هي غرفتنا أيها الغبي .

شهق (أورتيجا) في هلع ، في حين هتف (كوادروس):

.. يا للشيطان !

انطلق الثلاثة كالصاروخ نحو الحجرة ، وما إن بلغوها حتى هتف (أندروفيتشى) في سخط :

فعلى الجدار المقابل تمامًا ، كانت هذاك عبارة مكتوبة بالروسية ، بطلاء أحمر زاه ..

« هل أدهشك هذا أيها الوغد الروسى ؟! »
توقف (أندروفيتشى) لحظة ، يتطلع إلى العبارة ، ثم
لم يلبث أن الدفع داخل الحجرة في حنق و (كوادروس)
يهتف من خلفه :

- ماهذا بالضبط ؟! إنها لغة أجنبية غير مفهومة .
لم يعلَق (أندروفيتشى) على العبارة وإنما أشار
إليه ، قائلاً في صرامة آمرة :
- فتش الحجرة جيدًا .

سأله (كوادروس) في توتر بالغ:

- وماذا تقترح أيها القائد ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات قبل أن يجيب في صرامة :

- سنبدأ عملية تمشيط منهجية ..

ثم التفت إلى (أورتيجا) قائلا:

- ضع بعض رجالك خارج الفندق أيها المفتش ، واطلب منهم مراقبة نوافذه من الخارج .

تمتم (أورتيجا) في حيرة:

- نوافذه ؟!

أجابه الروسى في صرامة :

- نعم أيها المفتش .. النوافذ والشرفات .. لقد استغل (أدهم صيرى) تلك النوافذ والشرفات بالتأكيد ، ليخرج من هذه الحجرة .. لقد قفز من شرفتها إلى شرفة مجاورة ، أو هبط منها إلى السرفة التي تقع أسلفها تمامًا ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، ليهتف في حنق :

ثم اندفع نحو السلم ، فهتف (كوادروس) ، وهو يلحق به :

YET

أسرع (كوادروس) ينفذ الأمر دون مناقشة ، فى حين أدار (أورتيجا) عينيه فيما حوله ، وقال فى

توتر: - عجبًا! إنه لم يأخذ شيئًا من الحجرة.

قال (أندروفيتشي) في حنق:

- إنه ليس لصا يا رجل .. لقد فعل هذا ليستفزنا فحسب ..

وأدار عينيه فيما حوله مرة أخرى ، قبل أن يضيف في صرامة :

- إنه يواصل اللعبة نفسها .. ويمنتهى النجاح .

ران صمت ثقيل على الحجرة للحظات ، ثم قال
(أندروفيتشى) في حزم :

_ مُرْ رجالك بما أمرتك به ، أيها المفتش .

أوماً (أورتيجا) برأسه إيجابًا ، والتقط جهازه اللاسلكي على الفور ، وراح يملي أوامره على رجاله في حين أشار (أندروفيتشي) إلى (كوادروس) قائلاً: - اذهب الإحضار الجميع .. هل تفهم ؟ الجميع بلا

استثناء .. أخبرهم إننى أريدهم هنا ، خلال دقيقة واحدة .

أجابه (كوادروس) في حماس:

_ أوامرك أيها القائد .

والدفع لتنفيذ الأمر ، في حين العقد حاجبا (أندروفيتشي) في غضب شديد ، وهو يتطلع إلى العبارة الروسية ، مغمغما :

_ قلیکن یا (أدهم صبری) .. سنری من منا بضحك أخيرًا .

أنهى عبارته ، وتطلّع إلى العبارة بضع لحظات أخرى في غضب ، و ...

وفجأة الطلق رنين هاتف المحمول ، فالتقطه من جيبه في حدة ، وضغط زر التحدث قائلاً :

- (أندروفيتشى) .

احتقن وجهه في شدة ، وتوترت أعصابه عن آخرها ، مع الضحكة الساخرة ، التي اخترقت أذنه ، حاملة صوت (أدهم صبرى) ، الذي قال بلهجة تهكمية لاذعة :

- هل قرأت عبارتى أيها الوغد الروسى ؟! ضغط (أندروفيتشى) أسنانه في حنق وهو يقول: - لن يمكنك الخروج من هنا حيًّا يا (أدهم).

_ ماهذا بالضبط ؟!

يراقبه في حيرة:

أشار إليه (أندروفيتشى) مرة أخرى بالصمت، ثم أشار إلى شاشه هاتفه المحمول، فاقترب منها (لاماس) و (أدهم) يقول:

نقال صغير ، وانتزع منه سلكا طويلا ، أوصله بجزء

خاص من هاتفه المحمول ، فغمغم (لاماس) ، وهو

- بالتأكيد يا (يورى) .. كلنا بشر ، وما من بشر كامل .

قال (أندروفيتشى) وهو يضرب أزرار الكمبيوتر في سرعة:

- من يدرى ؟ ربما تنطبق عليك هذه القاعدة ، بأكثر مما تنطبق على أى مخلوق آخر يا سيد (أدهم) .

ظهرت قائمة أرقام على شاشة الهاتف ، فحرك (أندروفيتشى) مؤشر فأرة الكمبيوتر فى سرعة إلى الرقم الأخير وضغط زرها ، فارتسمت على الشاشة خريطة للعالم ، وراحت تتحرك فى سرعة ، حتى تركزت على (ريو دى جانيرو) ، ثم ظهر رسم تفصيلى للفندق ، فغمغم (لاماس) فى حماس :

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى قائلاً:

ـ هل تعتقد هذا حقًا ، يا عزيزى (أندروفيتشى) ؟!
وصل (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال فى
تلك اللحظة ، وهتف الأول فى انفعال شديد:

_ هل ما أخبرتى به (كوادروس) صحيحًا أيها القائد ؟!

أشار إليه (أندروفيتشى) بالصمت وهو يقول عبر الهاتف:

- نعم أعتقد هذا تمامًا يا (أدهم) .. إننا نحاصر الفندق كله ، ولن تجد تُغرة تكفى لفرار بعوضة من هنا ، دون أن ينكشف أمرها .

أجابه (أدهم) متهكمًا:

_ عجبًا ! هل نسيت القاعدة الذهبية يا عزيزى (يورى) .. لا يوجد نظام أمنى يخلو من الثغرات ، مهما بلغت دقته .

العقد حاجبا (أندروفيتشى) أكثر ، وهو يقول : _ هذا ينطبق عليك أيضًا ياسيد (أدهم) .

نطقها في بطء ملحوظ ، يوحى بأنه يفكر في أمر ما بمنتهى العمق ، ثم أسرع يجذب جهاز كمبيوتر

- آه .. فهمت .. الهاتف المحمول يسجّل الأرقام التي تتصل به ، وهذا البرنامج يتيح لك تحديد مصدر المكالمة .. أليس كذلك ؟

أوماً (أندروفيتشى) برأسه إيجابًا ، وهو يشير إليه بالصمت ، في حين كان (أدهم) يقول ، عبر الهاتف :

ـ هذا أمر طبيعي ، فأتا أيضًا مجرّد بشر .

تألّقت عينا (أندروفيتشى) ، عندما حدّد الكمبيوتر رقم الحجرة ، التي يتحدّث منها (أدهم) ، وأشار إلى (لاماس) ، مجييًا :

_ بالضبط يا سيّد (أدهم) .. بالضبط .

انتقل التألُق إلى عينى (الاماس) ، وهو يقرأ رقم الحجرة ، الذي يؤكّد أنها إحدى حجرات الطابق الثالث نفسه ، ثم اعتدل مشيرًا إلى الرجال ، واتدفعوا جميعًا نحو تلك الحجرة بالتحديد .

أما (أتدروفيتشي) ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة كبيرة ، وهو يتابع حديثه قائلاً :

_ ومن يدرى ؟! ربما كاتت نهايتك أقرب مما تتصور .. أقرب بكثير .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته هذه ،

كان (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال قد بلغوا تلك الحجرة ، التى يتحدث منها (أدهم) ، فاندفع (كوادروس) نحوها وضرب بابها بقدمه فى عنف ، ثم افتحمها الجميع ، ورفعوا فوهات مدافعهم الآلية نحو الرجل ، الذى يمسك الهاتف ، و ...

ودوت الرصاصات في ذلك الفندق ، في (ريودي جانيرو) ، وامتزجت بصرخات وغناء المحتقلين بالمهرجان وهي تصيب هدفها ..
ويمنتهي الدقة .

* * *

(انتهى الجزء الثالث بحمد الله) ويليه الجزء الرابع [مهرجان الموت]



د. نبيل فاروق

رجل المتعيل روايسات بوليسات المنساب زاخسرة بالاعداث المنسارة

مصر الشمن في مصدر ٢٠٠ ومايعادله بالدولار الأمتريكي في سائر الدول العربية والعالم

بلا رحمة

ما مصير (أدهم) و(چيهان) ، بعد أن وقعا
 في قبضة رجال الأدغال في (البرازيل) ؟١

هل تنجح السنيورا في استكمال برنامجها
 النووى . والسيطرة على اقتصاد العالم أجمع ؟!

تُرى هل يمكن أن يعود (أدهم) لمواجهة الخطر،
 والتصدى لرجال السنيورا، في صراع (بلا رحمة) ؟!

• اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم: مهرجان الموت